مصطفى محمود

مغامرة في الصحراء

دار العودة . بيروت

اهداءات ٢٠٠٢

ا/ ابراهيم محمد ابراهيم حريبة

مصطفى محمود

مغامرة في الصحراء

دار العودة - بيروت

الجنة درجة حرارتها ٤٨

الجنة درجة حرارتها ٤٨
الحنه درجة حرارتها ٤٨
الجنة درجة حرارتها ٤٨
الجنة درجة جرارتها ٤٨

من نافذة الطائرة كانت تبدو الرمال المترامية بلا حدود تلمع فى وهج الشمس كقميص من الذهب تعلو فيه التلال كنهود مكورة خمرية فى رسم سيريالى خرافى من تلك الرسوم التى يرسمها سلفادور دالى .

وكنت غارقا فى أحلامى أتتبع هذه اللوحة الأسطورية حينما تيقظت على يد رفيقى فى الرحلة الأخ على المصراتى « الكاتب الليبى المعروف » .

وسمعته يقول بصوت قلق :

ــ هل أحضرت فى حقيبتك كل اللوازم ؟

قلت فى اطمئنان :

ــ ان بها كل ما احتاج اليه من هدوم .

ورأيته ينفجر ضاحكا :

ــ هدوم ؟ !! .. هــــذه الحقيبة المنفوخة كلها هدوم .. (وراح يقهقه) ..

ــ هل تعرف أن درجة الحرارة فى غدامس خمسون درجة فى الظل .. هل سمعت النشرة الجوية ؟

قلت وقد بدأت أتصبب عرقا :

ــ يالطيف ! .

وتذكرت درجة حرارة الأربعين فى القاهرة وأنا أسير مغمى على وقلت وأنا أرتجف :

ــ على أى حال لابد أنى سأجد دشا فى الأوتيل .

ــ هناك أدشاش بعدد ما تريد ولكن المياه ملحة وتشقق الجلد :

ــ أعوذ بالله وهل سنشرب من هذه المياه الملحة .

ــ يمكنك أن تشرب مياها غازية ولو أنها مصــنوعة من

نفس المياه الملحة .. على أى حال هى مياه ملحة مفيدة للصحة فيها حديد ونحاس وزئبق .

ـــ وزيبق كمان .. هذا يعنى أننا سوف نموت بالتسمم

ـــ سوف تتعود .

ـــ الظاهر اننا سوف نتعود على أشياء كثيرة .

ـــ ولكنك طبعا أحضرت معك المصل .

ـــ أى مصل ؟ .

وهنا قفز صديقى من كرسيه فى انزعاج !

ـــ المصل المضاد للعقرب والثعبان .. هل نسيته ؟

والواقع أنى كنت قد نسيت تماما ..

وقلت وأنا أحاول أن اطمئن نفسى :

ـــ وهل هناك عقارب وثعابين ؟ .

ـــ وعناكب وحيات .. نحن نازلون فى قلب الصحراء الأفريقية .

ـــ ولكننا سوف نسكن فى أوتيل وننام فى غرفة يمكن أن نقفل بابها وشباكها علينا .

ـــ ستنام فى غرفة صحيح ولكنك لن تستطيع أن تقفل بابها من الحر الا اذا كنت تريد أن تموت مسلوقا .

وراح يضرب كفا بكف :

ـــ كيف تنسى احتياطا طبيـــا كهذا .. وأنا معتمد عليك باعتبارك طبيبا ؟

وارتفع أزيز الطـائرة ذات المحرك الواحـد وراحت ترتفع وتنخفض فى المطبات الساخنة كأنها ريشة فى مهب الرياح وغرق المصراتى فى سكوت قلق .

قلت وأنا أحاول أن ألتمس كلمة مطمئنة :

ـــ ولكن هناك مستشفى على أى حال أو مركز اســـعاف فى حالة ما اذا ..

ـــ هناك مركز اسعاف ولكن الحقن الموجودة .. تنفد بسرعة لأن حوادث العقارب كثيرة جدا .. وتمر أيام قبل ان تصـــل شحنة جديدة من طرابلس بالطائرة .. وأنت تعلم أن لدغةالعقرب تقتل فى ظرف ساعات .

ـــأعوذ بالله .

قال فى نبرة استسلام :

ـــ نهايته .. الأعمار كتاب .. والحذر لا ينجى من قدر .. واذا كان مكتوبا لنا الموت فى غدامس سنموت فى غدامس حتى ولو كان مركز الاسعاف كله فى جيبنا .

وشعرت بأطرافى تتثلج لهذه النبرة الجنائزية .. لم يبق الا أن نحضر معنا الأكفان .. ونقرأ الشهادتين .. ويكتب كل منا وصيته.

وراحت الطائرة تهتز مرة أخرى وتسقط كأنها تهوى الى قاع بئر ثم ترتفع وتنتزع أحشائى فى كل مرة .. ومال الأخ المصراتى على النافذة مشيرا بأصبعه :

ـــ أترى هذه النقطة الخضراء ؟ . هذه غدامس .. لؤلؤة الصحراء كما يسمونها .. فى هذه النقطة تاريخ أربعة آلاف سنة من الحضارة .

وأخذت الطائرة تدور مستعدة للهبوط .

وظهرت شواشى النخيل خضراء تلمع فى الشمس الغاربة .

وسكت المحرك الواحد وبدأت الطائرة تهبط حتى استوت على الأرض فى نعومة ..

وهبطنا لتستقبلنا على الباب لفحة ساخنة .

وكان الترمومتر فى المطار يشير الى درجة ٤٥ .. ولكن الحرارة كانت محتملة بسبب الجفاف الشديد .

وكان كل شيء جافا نظيفا ساخنا .. الأرض والجدران والمقاعد والأبواب .. ولكن الهواء كان صافيا نقيا معقما كأنه خارج من أتوكلاف وكان يدخل الصدر فيغسله .

وشعرت بالانتعاش بالرغم من شدة الحر .

ولكنى كنت مازلت أفكر فى العقارب .

وحينما التقينا بمتصرف المنطقة الشيخ ونيس الدهمانى .. (المتصرف فى مقام المحافظ عندنا) ، كنت مازلت مشغولا بحكاية العقارب .. وكنت أفكر فى الطريقة التى أسأله بها .

وأمسك بيدى يشد عليها فى حرارة .

ـــ كيف الحال ؟ انشا الله تكون مرتاح .. كيف الحال عندكو فى مصر ؟ .

ونظرت الى الرجل المديد القامة .. كان وجهه الصريح وملامحه الحادة القوية والسمرة النبيلة التى تكسو وجهه تحكى قصة كفاح طويلة مع الصحراء ومراس متصل مع المشقات .

وكانت عيناه تتدفقان طيبة وبساطة .

وقلت له ان الأحوال بخير فى مصر ودعوته لزيارتنا ولقضاء الشتاء على ضفاف النيل .

ولكنى كنت ما زلت مشغولا بحكاية العقارب .

ورأيتنى أسأله فجأة عن العقارب .

وضحك الرجل ضحكة مجلجلة :

ـــ العجارب .. العجارب ما بتعمل شيء .. الأولاد هنـــا بيجمعوا العجارب فى طاسة ويلعبوا بها .. بينبشوا عليهـــا فى الصحرا .. فيه حد يخاف م العجارب .. انت خايف يادكتور ؟

وقلت له وأنا أكذب بشدة :

ـــ لا .. لا .. أبدا ..

وعدت أسأل على استحياء بعد لحظة صمت :

ـــ لكن يعنى .. فيه أظن مركز اسعاف فى البلد .. وفيه مصل عقرب ..

ـــ ما فى حد بياخد المصل .. وحاناخد المصل ليه .. العجارب ما بتعمل شيء .

واعتبرت المسألة منتهية .. وان العقارب ما بتعمل شيء .

وقلت للأخ على متحديا :

ـــ شايف ياعلى ـــ العجارب ما بتعمل شيء .

وضحك على ساخرا :

ـــ طيب ما بتعمل شيء .. ما بتعمل شيء .. مبروك عليك عجارب غدامس .

وتطرق الحديث بعد ذلك الى عديد من الموضوعات ثم خطر

لى أن أسأل المتصرف فى ناحية من نواحى اختصاصه فسألته عن احصائية بالحوادث فى غدامس فى السنوات الأخيرة :

قال الرجل فى استفهام !

ـــ احصائية بالحوادث .. كيف ؟

ـــ يعنى عدد الجرائم مثلا .. عدد الجنايت .

ـــ جرائم .. كيف ؟

ـــ جرائم السرقة .. وجرائم القتل .

وابتسم الرجل فى طيبة :

ـــ احنا ما عندنا جرائم .

وفتح دفترا كبيرا راح يقلب صفحاته أمامى .. صفحات عديدة بيضاء .. استفسارات من الوزارة .. وردود عليها .. مشروع مساكن شعبية .. مذكرة بانشاء ناد للشباب .. محضر صلح بين عائلتين .. مذكرة من الأهالى بطلب بناء خزان ماء للمسجد .. ولكن لا جريمة واحدة .. لا جريمة سرقة .. ولا جريمة قتل .. الأمن مستتب بطول السنوات العشر الماضية .

وأبديت دهشتى وقلت ان هذا شىء غير معقول .. ثم عدت أقول ان البوليس لابد أنه كفء جدا .

وقال المتصرف :

ــ هذا بفضل السيد البدرى .

قلت له ان السيد البدرى هذا رجل عظيم الشأن جدا! وأبديت رغبتى فى زيارته وفى الطريق الى السيد البدرى كنت أقول لنفسى طول الوقت .. أخيرا وجدت الرجل الذى صنع المستحيل .. انه ولاشك أعظم مأمور بوليس فى الدنيا وفجأة توقف المتصرف وأشار بأصبعه الى نافذة :

ــ هذا هو السيد البدرى .

ــ ولكن هذا ضريح .

ــ نعم انه ضريح السيد البدرى .

وراح يقرأ الفاتحة .

وراح الكل يقرءون الفاتحة .

وقال المتصرف :

ــ انه صحابى دخل غدامس مع جنود عقبة بن نافع فى عام ٤٢ هجرية وحارب الكفار وكافح حتى نشر الاسلام فى آخر زقاق من أزقة الواحة ثم استشهد منذ أكثر من ألف عام .

ــ ولكنى لا أفهم كيف يحافظ رجل ميت على الأمن ؟ .

ـــ ان الأهالى يؤمنون به ايمــانا راســخا ويعتقــدون أنه يستطيع أن يكشف السارق .

ـــ ازاى ؟

ـــ حينما تحدث سرقة يجتمع المشايخ فى الضريح ويقرءون سورة يس أربعين مرة فيظهر السارق على الباب وهو يتوسل .. استرونى من الفضيحة يرحمــكم الله .. ويرد ما سرق كاملا .. وتنتهى القصة دون تدخل البوليس .

ـــ غير معقول .. وهل حدث هذا فعلا ؟

ـــ حدث كثيرا .

وهنا تقدم عسكرى بالجمرك ليروى آخر قصة حدثت منذ ستة أشهر حينما سقطت محفظة أحد السياح وبها أربعمائة جنيه والتقطها أحد الأهالى وأخفاها .. وروى كيف اجتمع المشــايخ فى الضريح وقضوا الليل فى قراءة يس .. وحينما بلغوا العــدد ٣٢ ظهر الســارق على البــاب وهو يتوســل .. اســترونى .. لا تفضحونى يرحمكم الله . وألقى لهم بالمحفظة وجميع أوراقهــا كاملة .. وطلب الصفح والمغفرة والأمان .

وكنت أجد صعوبة فى تصديق هذا الكلام .

ولكن ها هى دفاتر البوليس خالية منذ سنوات لم تســجل بها جريمة واحدة .

هناك شيء واحد أكيـــد على أى حال .. ان غدامس لم تسمع عن جريمة سرقة ولا قتل منذ عشر سنوات .. وان الأمن والسلام ينشر آلويته على هـــذه الربوع .. وهو لغز فى ذاته يحتـــاج الى تفسير .

وسواء كان التفسير هو الايمان وما يفعله الايمـــان المطلق بسارق يعلم أن هناك قوة سوف تكشف ستره فيتقدم طالبـــا المغفرة خوفا ورعبا من المصير .

وسواء كان التفسير هو كرامة السيد البدرى أو غيرها فان السيد البدرى فى الحالتين شخصية خطيرة وجديرة بكل احترام .

وبسطت كفى وقرأت الفاتحة للرجل الذى استطاع أن يحقق وهو ميت ما عجز عن تحقيقه جميع الأحياء ..

وكنا قد وصلنا الى « عين الفرس » وهى العين التى تستقى منها كل الواحة : زرعها وأرضها ونخيلها وحيوانها وناسها .

وهى عين قديمة تاريخ تفجرها غير معروف ويقال انه أربعة آلاف سنة وان الواحة بدأت بالعين .. والحياة بدأت من اللحظة التى تفجرت فيها .. والتاريخ بدأ من عندها .

وفى حـــكاية أخرى أنهـــا تفجرت تحت أقدام فرســـة عقبة ابن نافع .. كانت الفرسة تنبش بحـــافرها وهى عطشى فتفجـــر

الماء تحت أقدامها ومن هنا سميت « عين الفرس » وهى حكاية مشكوك فيها لأن العين بدأت فى الغالب مع مولد الواحة ذاتها ولم تجىء متأخرة مع دخول الاسلام .

وهناك حكاية ثالثة تروى أن قافلة من البدو الرحل تذكروا بعد أن أوغلوا فى الصحراء أنهم نسوا قصعة طعامهم فى المكان الذى تغدوا فيه أمس وعادوا أدراجهم يبحثون عنها فى المكان الذى أكلوا فيه ، وبينما هم يبحثون تفجرت العين فسموها عين غدامس أى حيث الغداء بالأمس .. غدا أمس .. فأصبحت غدامس وهى فبركة طريفة لاختلاق أصل عربى لاسم غير عربى :

لكن الحقيقة غير معروفة .

متى .. وكيف .. وفى أى عصر .. انفجر هذا الينبوع فأحال الصحراء الى جنة .. لا أحد يعلم .

لكن كالعادة الخير أتى ومعه الشر .

فما لبثت الواحة الخصبة أن أصبحت مطمعا للأقوياء وتعاقب عليها الغزاة ..

الرومان والوندال والبيزنطيون .. وما زالت بها الى الآن آثار رومانية .. وطرز العمارة البيزنطية واضحة فى طابع مبانيها .

ولقد ظلت غدامس مسيحية بسبب الوندال والبيزنطيين الى

سنة ٦٦٦ ميلادية (الموافقـة ٤٢ هجرية) حينما دخلهـا العرب بقيادة عقبة بن نافع ليحولوها الى الاسلام .. وبعد العرب جاء الأتراك فى القرن السادس عشر ثم ايطاليا فى سنة ١٩٢٤ .. وانتهت قصة استعمار الواحة فى يناير ١٩٤٣ حينما أغارت قاذفات القنابل الفرنسية على مطارات ايطاليا وثكناتهـا فى الواحة فى الحـرب العالمية الثانية ونزل الستار على التاريخ الطويل الدامى .

ولكن أغلب الظن انه كان هنـاك تاريخ ما قبل التاريخ فى الواحة .. فهنـاك آثار عصر حجـرى وسكاكين وخناجر من الصوان .. وقد عثر على تمثال عجل ذى رأس بشرى بالقـرب من بئر عوان بجنوب غدامس ذى ملامح من النحت البدائى الذى كان موجودا فى مصر قبل التاريخ .

انها قصة قد تطول اذن الى عشرة آلاف سـنة وربما أكثر لا أحد يدرى .

وكل هذا التناطح دار حول بئر انفجرت وسط الصحراء .

وكان هناك نظام قديم للسقاية من البئر يدل على مدى قيمة الماء فى ذلك الوقت فقد شق الأهالى عدة أنهار تجرى فيها مياه العين وعلى كل نهر بوابة يمكن أن تفتح وتقفل واستعملوا مايشبه الساعة المائية .. سطل مثقوب تسيل منه الميـاه ببطء حتى يفرغ على مدى ساعة زمن .. وعند بدء الساعة يفتح أحـد الأنهـار

لتستقى منه احدى القبائل وفى نهاية الساعة تقفل البوابة فتنتهى السقاية .. ويجىء الدور على القبيلةالثانية التى تستقى من النهر الثانى وهكذا يمر الدور على جميع القبائل .. أول نظام لعداد مائى فى العالم .

وما زالت هناك ثلاثة أنهار جارية تخرج من البحيرة الكبيرة التى تصب فيها العين .. وما زالت تحمل الأسماء البربرية القديمة .. تاسكو .. وتارت .. وتنجسين .

وقد بنى الأهالى مدينتهم فوق هذه الأنهار فأصبحت أول مدينة تجرى من تحتها الأنهار كأنها الجنة ..

أهلها لا يعرفون السرقة ولا القتل ..

والبوليس يجلس فيها بلا وظيفة أمام دفاتر خالية ..

وتحكمها روح سيدى البدرى ..

وتجرى من تحتها الأنهار ..

ولكنها جنة عجيبة درجة حرارتها ٤٨ .

قاموس للعامية الليبية

الكلمة بالليبى العامى	الكلمة بالعربى
يمدرز	يثرثر
يعفلج	ينرفز
باهى	كويس
الله غالب	يفتح الله
مربوحة	رابحة انشا الله
لا سو	لا باس
يشبح	يشوف
يرجب	يمتدح
عنده ناموس	عنده همه
هجاله	ارملة او مطلق
لوطه	الأرض
طار السو	خد الشر وراح
	(عند انكثار شىء)
مصمامة الكرشة	آخر العنقود
يدهور	يتفسح
يكحل	يبصبص
الانقر	قرة العين
الدلاع	البطيخ
يدوى	يتكلم
الكرنفى	السخرة
يجنتو	يفشر

الظلام حالك فى عز النهار

كان خادم فندق غدامس يدور فى غرفتى فى سعادة ويشير بأصبعه مبتسما الى السرير الذى أنام عليه .

ـــ هذا السرير نام عليه المارشال بالبو منذ أكثر من ثلاثين سنة .. ومنذ سنوات قليلة كانت تحتل هذه الغرفة صوفيا لورين ونامت على نفس السرير أربعين ليلة .. كانت تصور هنا فيلم « الخيمة السوداء » وفى هذا البانيو كانت تستحم كل مساء .

انها غرفة محظوظة .. فى أيام الاستعمار الايطالى كان المارشال بالبو يجلب العشيقات الفاتنات من روما بالطائرة وكان

يملأ هذه الغرفة بالضحكات .. وكانت قرعات الكئوس ترن فى سكون الواحة .. هذا سرير له ذكريات ..

ورحت أتمرغ فى سرير المارشال بالبو وصوفيا لورين .

انتهت الضحكات .

احترقت طائرة المارشال بالبو وهو الآن رماد تذروه الرياح من سنين .

ماتت القبلات .

والعشيقات الفاتنات أصبحن الآن عجائز بلا أسنان .

وها هو السرير الشهير فى فندق غدامس يشهد ليلة جديدة مختلفة .

فعندما يأتى الظلام سوف آوى الى السرير وأنا أحتضن كتابا انه عشق من نوع جديد .

ولعله العشق الوحيد الذى تدوم فيه القبلات ويثمر العناق.

وشعرت بأنى يجب أن أعتذر للبانيو فلن يكون له دور كبير فى غراميات الليلة .

وكان بانيو فاخرا مبطنا بالقيشانى الأسود والدش فيه ينزل ساخنا ملتهبا بلا سخان . وكل حنفية هنا تنزل منها المياه ساخنة ،

فرمال الواحة الملتهبة تعمل كموقد طبيعى طول الليل يرفع حرارة جميع الأشياء .

ورحت أنقب تحت السرير وراء الأبـواب وفى الأركان عن العقارب والثعابين والسحالى والعناكب والأفاعى .

وسمعت قرعا على النافذة وأطل رأس الأخ المصراتى :

ـــ أنت مستعد ؟

ـــ ليه ؟

ـــ حانطلع جبل قصر الغول .

وأعجبنى الاسم .

كانت له رنة فى الأذن توقظ الرغبة فى المغامرة .

وقلت له انى آت فورا .

جبل قصر الغول !

وفى دقائق كنا نركب عربة لاندروفر تترنح بنـا خارجة من الواحة الى عرض الصحراء .

وكان هذا أول لقاء لى مع الصحراء .. ذلك البسـاط من الرمل بلا حدود وبلا طرقات وبلا عود أخضر وبلا قطرة ماء .. وذلك الهواء الجاف الساخن كأنه منديل كبير من الشاش يمسح العرق ويجفف اللعاب .. وتلك الأرض الهشة التى انفرطت الى

ركام من الدقيق الأصفر وتلال وآكام وجبال ووديان تصفر فيها الرياح فتصبح السماء بلون الأرض ولا ترى يديك على بعد متر من عينيك وكأنك غرقت فى مستحلب أصفر وتحولت الى ذرة تراب فى عالم من التراب يدخل من فمك وأنفك وأذنيك وعينيك وجلدك ويلذعك بملايين النبال الساخنة .

وكانت اللاندروفر تتلوى صاعدة هابطة ساقطة .

وأمعائى تتخضخض .. ورأسى يخبط فى السقف .. وبعضى يخبط فى بعض .. والسائق ماهر جدا .. ومتخصص فى الطريق ومعه دليل .. ونحن جميعا نشكر الله ..فلولا ذلك لتاهت السيارة لأى خطأ طفيف فى الاتجاه ودخلت فى واحدة من تلك المتاهات التى يسمونها الرمال الناعمة حيث تغوص كما يغوص الحجر فى الماء .

ومرت ساعات دون أن نقطع مسافة تذكر .
وظهرت الحدود الجزائرية على البعد .

ودرنا حول الحدود ثم بدأت السيارة تسرع على سهل منبسط لتلقى بنا فى النهاية عند أقدام جبل صغير أشهب ملىء بالنتوءات الصخريه .. قال السائق وهو يتوقف أمامه :

ـــ هذا هو جبل قصر الغول .. هنا حدثت المعركة بين جنود عقبة بن نافع وبين الكفار .

ونزلنا نتسابق جريا الى القمة وأشهد أن الأخ على المصراتى كان أسرعنا وصولا ، وكان أول من صاح وهو يطل علينـا من فوق :

ــ لقد وجدت البئر .

أما أنا فقد توقفت عند منتصف الجبل أمام كهف مظلم ..

وجلست على صخرة كبيرة ألتقط أنفاسى . وقال لى الضابط المرافق ان هذا الكهف نقبه جنود عقبة بن نافع فى الجبل .. وظلوا ينقبون فى الجبل حتى بلغوا نقطة التقاطع مع البئر ورابطوا هناك يقطعون كل حبل يدلى به الكفار ليستقوا من الماء حتى أشرفوا على الموت عطشا فلم يجدوا بدا من النزول والالتحام مع جيش عقبة وانتهت المذبحة بانتصار العرب .. وأنت تستطيع أن ترى من هنا قبور الشهداء من الصحابة .. وأشار الى عدد من القبور منصوبة بطريقة اسلامية بسيطة .

وحينما بدأنا نسير نحو القبور .. كنت أفكر فى الطريق الطويل الذى قطعه هؤلاء المحاربون من مكة الى قلب الصحراء الليبية يسعون على الابل وعلى الأقدام حفاة لا يملكون من الزاد الا حفنة من التمر .

أى قوة رهيبة ..

قاموس اللغة الغدامسية

الكلمة بالعربى	الكلمة بالغدامسى
نجمة	ايرى
دراهم	درامن
الطفل	امطفال
الخصومة	اكناس
يبكى	يطزف
الفراشة	فرطعلوا
الخشب	ابيرج
النار	اوفا
الماء	آمان
الشاى	شاى
القهوة	قهوة
المراة	تلتا
الرجل	واجيد
١	يون
٢	سن
٣	كاراخى
٤	اكنظ
٥	سمس
٦	سظ
٧	سا
٨	تام
٩	اتصو
١٠	ماراو
١٠٠	مائة
الف	الف
مليون	مليون

وأى طاقة أطلقتها كلمات القرآن فى هؤلاء الأجلاف الجاهلين فجعلت منهم فدائيين ورسل فكر وعلم وحضارة يسعون لمصارعة الموت وهم يبتسمون .

وحينما بدأتِ أقرأ الفاتحة لاحظت أنى فقدت صـوتى من العطش وأن حلقى قد جف تماما وتحول الى أنبوبة من الحطب لا تخرج سوى الفحيح .

ان ترف المدينة واللاندروفر وخبراء الطريق لم تسـتطع أن تعطينى قوة .

أن الكهرباء والذرة والقطـار والتليفزيون سـوف تزيدنا رخاوة ..

اننا نفقد ولا نكسب .

ان انسان العصر ينحرف تدريجيا ويخسر ذلك الشىء الذى كان عند هؤلاء المحاربين العظام الذين انطلقوا كالمردة وهبـوا كالأعاصير وغيروا وجه الدنيا .

نور القلب قبل نور الكهرباء هو ما يجب أن نبحث عنه .

نبع روح .. فنبع بترول لا يكفى .

لقد خرج النور من أفقر أمة على وجه الأرض لا تملك سوى

البعير والخيام واقتحم على الفرس والروم ديارهم وكل ذخيرته كلمة حق .

واليوم عندنا الحديد والصلب والكهرباء والبخار والذرة ونغوص كل يوم فى الحقد والكراهية الى الركبتين ونزداد رخاوة وضعفا .

العلم المادى أضاء لنا البيت ولكنه لم يضىء لنا قلوبنا .

العلم قدم لنا جاهلية جديدة أسلحتها الغواصات والصواريخ والقنابل الذرية .

وركعت ألثم الرمال حيث تنام قلوب امتلأت عزما ومحبة وشجاعة .

وحينما كنا نعود الى غدامس كانت أكثر من عشرين مئذنة تؤذن باسم الله .

* * *

وواحة غدامس تقع فى قلب الصحراء الليبية على خط عرض ٣٠ شمالا وارتفاع ١٢٠٠ قدم فوق سطح البحر قرب حدود تونس والجزائر .. وتعدادها السكانى وصل فى عام ١٨٤٥ الى ثلاثة آلاف بينهم خمسمائة عبد .. وفى سنة ١٩٤٠ وصل الى تسعة آلاف وخمسمائة معظمهم من البربر والطوارق .. وهو تعداد

كبير نسبيا .. ففى بلد آخر قريب مثل « فلفلت » يبلغ عدد السكان أربعين نفرا فقط منهم سبعة رجال والباقى نساء وأطفال .. وهذا كل شعب فلفلت ..

والواحة محاطة بسور منخفض يبلغ محيطه ٣ أميال .. فيه عدة أبواب كان يقف عليها الحرس شاكى السلاح .

واشتهرت غدامس بطول التاريخ أنها أكبر محطة قوافل .. وكان يمر منها فى العام أكثر من ثلاثين ألفا من الابل .

ومن أهم خطوط القوافل التى تخرج من غدامس ذلك الخط الذى يبدأ من غدامس ثم يتجه الى غات ثم تبوكتو .

وتجارة العاج وريش النعام وتراب الذهب والشاى والعطور التونسية والثياب المطرزة ومناديل الحرير كانت تخرج وتدخل ليبيا عبر غدامس .

وقد عرف الكثير من التجار السبيل الى الثراء عن طريق تلك القوافل .

كتب أحدهم يقول : « قطعت ذلك الطريق سبع مرات كنت فى أولها خادما وفى آخر مرة كان عندى سبعة من الخدم » .

وكان هذا أمرا طبيعيا بالنسبة لعالم قديم لا يعرف الطائرة

ولا القطار ولا السيارة ولم تكن له شرايين يعيش بها سوى قوافل الصحارى .

ولكن مثل تلك الرحلات لم تكن نزهة سهلة . فقد كان الموت والهلاك يترصد المسافر فى كل خطوة من الوحوش وقطاع الطرق وهلاك الابل والموت عطشا وضلال الطريق وطول السفر الذى كان يمتد الى شهور فى الحر اللافح وسوافى الرياح .. ولهذا كان طبيعيا أن يرتفع ثمن البضاعة الى عشرة أضعافها وأن يصبح الربح سخيا مجزيا .. مثلا كانت العباءة الحريرية يبلغ ثمنها عشرة خراف وكان رأس الابل الواحد يباع بمائة وعشرين خروفا .

ومازال تجار غدامس الى الآن يحتفظون بألقاب عائلاتهم القديمة .. أولاد شهاب وأولاد بكر .. وأولاد التنى .

والجد الأكبر لعائلة التنى الذى بلغ من الثراء وتكدس الذهب الى درجة الخرافة . كان يقال ان الجن هو الذى يجلب له الذهب وانه بدأ رأسماله بكنز من العملات الذهبية دله عليه الجن .

والأرض خصبة فى غدامس تنبت كل شيء حتى القطن والزيتون والرمان والشمام والبطيخ والطماطم والخضر ولكنها مهملة لا ينبت فيها سوى النخيل .

وأعجب ما فى غدامس مبانيها .. البيوت المتلاصقة ذوات

النتوءات المثلثة (لطرد الشياطين والأرواح الشريرة) والأبواب المنقوشة بالطلاسم والتعاويذ وخاتم سليمان المطبوع على رقاع من الجلد ومعلق فى المداخل .

وجميع البيوت لصق بعضها ولها سطح واحد ، والنساء يعشقن على الأسطح ولا يبرحنها .

مجتمع النساء .. وسوق النساء .. وحياة النساء .. كلها على الأسطح ولا يرى على الأرض فى الشوارع الا الرجال .

والشوارع جميعها مسقوفة وضيقة ومظلمة حالكة الظلام فى عز النهار مثل ممرات منجم تفوح منها روائح العرق والتراب .. ولا تستطيع أن تمشى فيها بدون بطارية ..

وفى المدينة سوق للنخاسة كان يباع فيها الرقيق فى الأيام الخالية .

وفيها أكثر من عشرين مسجدا .. وفى كل مسجد مقصورة خاصة بالنساء ..

وجميع الغدامسة مسلمون متمسكون بديانتهم وعندما ينادى المؤذن للصلاة تخلو جميع الشوارع وتخلو جميع المتاجر من الناس .. الكل يذهب الى المسجد .

وهم يعالجون المجنون بتلاوة القرآن على رأسه

ولا أحد يسرق ولا أحد يقتل .. والغدامسى انســان وديع جدا ومسالم جدا .

ومن تقاليـــد الزواج عندهم أن يبقى العريس والعروس فى « الحجبة » وهى دروة أو خيمة صغيرة ـــ متر فى متر ـــ داخل البيت لا يبرحانها لمدة سبعة أيام .

والأكلة الغدامسية الشعبية هى الملوخية والبازين .

والملوخية تطهى بطريقة خاصــة ، فهى تجفف ثم تطحن حتى تصبح دقيقا غاية فى النعومة ثم تمزج بالزيت وتضاف الى المـــاء وتغلى مدة طويلة ثم يضاف اليها اللحوم والبهارات وقليـــل من السمن .. وطبق الملوخية يقدم عادة مغطى بالزيت ..

أما البازين (وهو أيضا أكلة طرابلسية شائعة) فهو أشـــبه بالعصيدة المصنوعة من دقيق الشعير والماء المغلى وبعد النضـــج يضاف اليها الملح ثم تكور على شكل كرة وتجوف ويوضـــع فى قلبها الخضار واللحم .

وفى غدامس قلعة بنيت فى عهد الاحتلال الايطالى وقلعة أخرى قديمة بنيت فى عهد الاحتلال التركى .

وما زال الغدامسة يذكرون اليوم المشئوم الذى جاءت فيـــه كوكبة من جنود يوسف القرماللى (الحاكم التركى) الى الواحة

وأخذت بالغصب والتهـديد أكثر من ألف وزنة من الذهب أو كانت تجمع النساء والأطفال رهائن وتجلد كل من يرفض الدفع .

وهم يذكرون أيضا أيام الاستعمار الايطالى الأسـود سـنة ١٩٤٠ حينمـا كان الايطاليـون يجمعون الشـبان ويجندونهم بالسخرة لحرب الفرنسيين فى الجزائر .. وكانوا يعتقلون كل من يرفض ويودعونه السـجن .. ويفرضون الضرائب على كل تاجر وعلى كل رأس من الابل .

وهم يذكرون ذلك اليوم من شهر يناير ١٩٤٣ حينما هاجمت قاذفات القنابل الفرنسية غدامس لضرب الثكنات الايطالية فيهـا وأشعلت الحرائق وقتلت المئات من الغدامسيين تحت الردم .

ولكنهم يواجهون هـذه الـكوارث بروح قدرية تؤمن بأن الموت كتاب وتسلم كل شىء لله .

والقبائل التى تسكن غدامس بعضها بربر وبعضـها طوارق وبعضها عرب .

والطوارق يسكنون خارج غدامس فى قرية « الظاهرة ».

أما البربر فيسكنون المدينة وهم مزيج من عرق بربرى وعربى وينحدرون من قبيلتين : قبيلة وليد .. وقبيلة زيد .

ومن قبيلة وليد خرجت ثلاث قبائل : ضرار ، وتاسكو ، ومازيغ .

ومن زيد خرجت أربع قبائل : جرسان ، وفرفرة ، وتنجسين ، وأولاد باليل .

والقبائل السبع أطلقت أسماؤها على شوارع المدينة .. شارع ضرار .. وشارع تاسكو .. وشارع مازيغ .. وشارع جرسان .. وشارع فرفرة .. وشارع تنجسين .. وشارع باليل .

وشارع باليل هو آخر شارع دار فيه القتال بين المسلمين وسكان الواحة وهو القتال الذى استشهد فيه السيد البدوى .

والمدينة ذات البيوت المتلاصقة والسطح الواحد والشوارع المسقوفة لها أيضا عدة أبواب .. على كل باب تقرأ عبارة عربية منحوتة وتقرأ تاريخ بناء ذلك الباب .. وكل باب له اسم .

على باب « أم سبيلن » تقرأ :

يا من دخل وخرج بعد الضيق تجد الفرج .

وتدخل من باب « أم سبيلن » الى شارع مظلم يتفرع بك الى تلك القنوات الغريبة كأنها ممرات وتنفتح بك الطرقات هنا وهناك على ميدان أو ساحة يجتمع فيها أهل البلد فى الحفلات والمهرجانات أو ملعب يلعب فيه الأطفال ..

وحفلات الأعراس عندهم يعزف فيها زمار وعدد من النساء يضربن الطبـــل وهن محجبات تمـــاما ويرقص الرجال ولا ترقص النساء البربريات .

واللغة الغداسية هى مزيج من اللغة العربية واللغـــة البربرية والعامية الليبية واللغة الطارجية (لغة الطوارق) .

وتعدد الزوجات موجود بين الغدامسة ولكنه قليل .

وشرط البكارة فى الزواج ضرورى .

وفى أحد شوارع البلدة المســـقوفة تجد عددا من الحمامات مبنية فوق أحد أنهار عين الفرس (وجميع الأنهار التى تخرج من عين الفرس تجرى تحت مبانى البلدة .. فالبلدة مقامة فوق الأنهار)، وفى كل حمام شماعة تضع عليها ثيابك قبل أن تنزل الى البانيو ، والبانيو هو النهر نفسه الذى تجرى فيه مياه العين دافئة صـــيفا وشتاء .

وما زالت الأصنام التى كان يعبدها أهل غدامس قائمة خارج البلدة قرب قرية الظاهرة .

الرجل ملثم والمرأة سافرة

الرجل ملثم والمرأة سافرة
الرجل ملثم والمرأة سافرة
الرجل ملثم والمرأة سافرة
الرجل ملثم والمرأة سافرة

لا شيء يثير فى غدامس مثل هؤلاء الفرسان العرب الملثمين ، يركبون المهارى (نوع من الابل السريعة) ويســـيرون فى قوافل مهيبة لا يظهر من الواحد الا عيناه تبرقان فى ضوء الشمس ، أما الوجه والرأس فيخفيهما لثام أبيض وأحيانا ملون ، والجسم يلتف فى عباءة فضفاضة بيضاء أو ملونة .. واذا صادفت أحدهما يمشى فى الصحراء خيل اليك أنه أمير أو ملك يمشى فى قصر ، فهو دائما يمشى رافع الرأس فى اعتداد وخطو ثابت واثق كأنه قيصر يتفقد مملكته ، وهو دائما أنيق رشيق معطر .

هؤلاء الفرسان هم الطوارق .

والطوارق هم قبائل متعددة تملأ الصحارى الشاسعة فى الجزائر وليبيا والسودان والنيجر .

وطوارق غدامس أكثر تحضرا وتمدنا من اخوانهم الذين يعيشون على البداوة والإرتحال والتنقل وراء المراعى فى صحارى الجزائر والسودان .

وهم يتبعون قبيلة كبرى اسمها فوغاس والاسم مشتق من فغسى باللغة التارجية « أى الطوارقية » وهو اسم حيوان مفترس .. وهذا يدل على العقيدة الطوطمية « تقديس الحيوانات واعتبارها أجدادا انحدر منها الجنس » .

وقد انحدر من فوغاس ثلاث قبائل : كل تهى هاوت .. وكل أوراغن .. وكل تسيللى .

وكلمة « كل » معناها ابن — أى ابن تهى هاوت وابن أوراغن .. وابن تسيللى .. وهى القبائل الثلاث التى تؤلف الطوارق الستمائة الذين يستقرون فى قرية الظاهرة خارج غدامس .

والطوارق الغدامسة مسلمون مالكية متمسكون بدينهم .

وقد غير الاسلام طباعهم وعاداتهم .

ودخـل الترانزيسـتور ودخلت البطارية والدراجة لتغيرهم أكثر .

وقواعد الزواج يحكمها التشريع الاسـلامى ، فلا زواج بين أبناء وبنات البطن الواحدة ولا بين الأب وابنته ولا بين الأم وابنها ولا بين الأخوات فى الرضاع وبالمثل تكون المسافحة بين أمثـال هؤلاء من المحرمات أيضا .

وفى كل قبيلة فقيه يعلمها القرآن ويخرج معها فى ارتحالها .

وامرأة عجوز سنها ٨٢ سنة اسمها « مبروكة ايدا ماهولزا » سمعناها تقرأ القرآن فى مصحف مخطوط .. وهى تحفظ . جميع السور عن ظهر قلب .

وفى الوليمة الكبيرة التى أقامهـا لنا الطوارق جلسـنا على سجاجيد وحشـايا وثيرة وقدم الى كل منـا فوطة نظيفة مبخرة بالمسك والعنبر وبدأت الضـيافة باللبن والتمر « وهم يشربون لبنا حامضا » ثم الخروف المشوى بالكسكسى ثم الشاى العربى .

وقبل العشاء قدم شباب القبيلة عرضا لألعاب الفروسية على ظهور المهارى ورقصت المهارى على الطبول .

وبعد العشاء بدأ السمر الذى طال الى نصف الليل .

واللغة التى يتكلم بها الطوارق « التارجية » من أصل بربرى

ويقال انها مشتقة من اللغات السامية القديمة وفى رأى ثالث انها انتاج محلى وان لها أصالتها الخاصة فهى وسائل التعبير الأولية التى ابتكرها الأجناس البدائية التى سكنت الشمال الافريقى من ألوف السنين .

واللغة التارجية ليس فيها حرف (د) وحرف (ض) وانما حرف واحد يدل على الاثنين وأيضا لا يوجد فيها حرف (س) وحرف (ص) ولا حرف (ق) وحرف (ك) وانما حرف واحد أقرب الى حرف الصاد والكاف .

ولغة الكتابة واسمها « تيفياخ » مؤلفة من ٢٤ حرفا ، وهى أشبه بالعلامات الهندسية « دوائر ومربعات ونقط وشرط ومثلثات » . وهى تنقش على الحجارة والجلود والخشب وتستعمل فى مناسبات قليلة لتسجيل الملكية أو عقود الزواج وتكتب من اليمين الى اليسار أو من فوق الى تحت ، ويتخاطب العشاق باشارات من أصابعهم دون نطق كطريقة سرية للتفاهم على المواعيد .

وأصل هذه اللغة غير معروف ويقال انها مثل لغة الكلام من أصل سامى .

واللغة العربية معروفة قراءة وكتابة بالنسبة للطوارق الغدامسة .

وللطوارق أشعار وأغان ومنشورات باللغة التارجية تتحدث عن الحرب والحب والصحراء والجبال وسكون الليل وجلسة العشاق متشابكي الأيدى حول النار الراقصة وذلك الاحساس الذى يستولى على الحبيبين فيشعران بالجمال الطاغى للحياة والقمر والنجوم ورقصة العصفور « مولا مولا » أمام الخيمة ونشوة القلب حينما يفضى بأعنق اللواعج والعواطف .

وهم يغنون أشعارهم على الربابة « يمزاد » .

والعجائز تحكين الحكايات والأساطير للأطفال قبل النوم .. وأشهر الأساطير تلك التى تحكى أن الصحارى فى الماضى البعيد كان يسكنها ناس ينبحون كالكلاب ولا يعرفون الله وان ملكهم عكار كان عاتيا جبارا وانه مات مقتولا وبنيت له مقبرة هائلة من الحجارة .

وموسيقى الطوارق هى معزوفات على اليمزاد والطبول والسلم الموسيقى خماسى مثل الموسيقى السودانية .

ولا يعزف الربابة « يمزاد » الا النساء .. واجادة اليمزاد علامة على حسن تربية البنت ونبل عنصرها .. وبعض الفتيات عازفات قديرات ذوات شهرة بين قبيلتهن يقطع لهن الرجال أميالا من الصحارى ليستمعوا اليهن .

قاموس تارجى عربى

الكلمة بالعربى	الكلمة بالتارجى	الكلمة بالعربى	الكلمة بالتارجى
عين	طيط	الكراهية	كوسن
وردة	طيط	الغضب	آبليس
الحليب	آخ	الفرح	تراماں
الدم	آهنى	الحرب	آن مغغى
قمر	تينى	السلام	مانا وين
المجد	ترا	اهلا	ايسلا
الذكر	اى	الحياة	تامت دورت
الانثى	تونتى	الموت	تامت تانت
الجمل	ايمناس	الله	ايملى
الحصان	آيس	الريح	آضو
شجرة	آنسك	جبل	آضرار
صحراء	تينيرى	مهرجان	أراواضى
المطر	آنجى	قبيلة	تاوسنت
الطفل	آباراء	خبز	تاكايا
النار	تيمسى	ماء	آمان
الحطب	ايصا غيرن	سماء	آجنا
الرجل	اكس	الخير	أيمن
المرأة	طمط		

وعادة اللثام بالنسبة للرجل والسفور بالنسبة للمرأة عادة غريبة من الصعب تفسيرها .

والنظرية القائلة بأن اللثام يلبس كوقاية من العواصف الرملية لا تفسر لنا لماذا لا تلبسه المرأة أيضا .. والنظرية التى تقول ان الرجل يلبس اللثام ليتخفى عن عدوه نظرية غير صحيحة لأن الرجال يتعارفون على بعضهم بالرغم من اللثام .

وأغلب الظن انه نوع قديم من التحريم الوثنى الذى كان يعتبر فم الرجل عورة « لأنه مدخل الهواء والماء والطعام ، ومخرج التنفس أو هو باب الروح الذى يمكن أن يدخل منه الجن والأرواح الطيبة والشريرة » ، ولهذا وجب أن يحجبه الرجل فلا يكشفه أبدا .

والمرأة تقول فى امتداح زوجها انها عاشت معه عشرين سنة دون أن ترى فمه ..

وحينما يحدث أن يقع اللثام فجأة فان الرجل يسارع بيده ليحجب فمه وكأنه عورة فعلا ويسارع بيده الأخرى ليلتقط اللثام من على الأرض .

ومنتهى سوء الأدب أن يكشف الرجل فمه أمام المرأة حتى ولو كانت زوجته .

ولا يمشى بدون لثام غير الأطفال ، فاذا أدركوا سن البلوغ ألبسهم آباؤهم اللثام فى احتفال يقام خصيصا لذلك ، ومن تلك اللحظة يسمح لهم بحضور مجالس السمر وينظر لهم على انهم أصبحوا رجالا .

ان اللثام علامة كمال الرجولة .

وحتى أثناء الأكل على الرجل ألا يكشف عن فمه .. وعليه أن يأكل من تحت اللثام ومن يكشف عن فمه أثناء الأكل فهو يدل على وضاعة تربيته وسوء منبته تماما كمن يأكل بأظافره عندنا .

أما لماذا لا تلبس المرأة اللثام فهو أمر غير مفهوم .

ولماذا اعتبرت التقاليد فم الرجل عورة ولم تعتبر فم المرأة عورة ؟ .

هذه كلها أسئلة بلا جواب .

والطوارق لا يختنون البنات .. والختان عملية مقصورة على الذكور .

وختان الأطفال يتم فى اليوم السابع .

كما ان تسمية الأطفال تتم أيضا فى اليوم السابع .. يسميهم أعمامهم وليس آباؤهم .

والزواج يبدأ بالخطبة والأب هو الذى يخطب لابنه .

لكن البنت فى الطوارق تختـــار فى حرية .. وتوافق أو لا توافق .. والمهر عادة سبعة رءوس من الابل أو ما يقابلهـا من الخراف ويتم حفل العرس بالموسيقى والغناء « أغنيـة شـجرة الزيتون » وفى نظر الدكتور فرمان ان هذا دليل على بقايا وثنية لأن شجرة الزيتون من الأشجار التى كانت تعبـد أيام الوثنيـة الاولى .

وتبدأ العلاقة الزوجية وتستمر سنة وأحيانا خمس سنوات ، تذهب الزوجة كل ليلة الى الزوج لتبيت معه ثم تعود لأهلهـا فى الصباح ويسمون هذه الفترة فترة التأهيل .

وبعد هذه الفترة تعد خيمة جديدة بمستلزماتها يوضع فيهـا جهاز العروس وتدخل امرأة عجـوز لتقرأ تعاويذ خاصـة لطرد الجن .. وبعد ذلك تبدأ الحياة المشتركة .

والطلاق يحدث بسبب العقم وسـوء المعاملة وأمراض مثـل الجذام والجنون . وعلى المرأة بعد الطلاق أن تقضى شهور العدة « كما فى الاسلام » قبل أن يجوز لها الزواج من جديد .

والطوارق الغدامسة اشتراكيون بالفطرة . فاذا ذبح أحدهم ذبيحة فهو يطعم كل الجيران ويقسم الذبيحـة بالتسـاوى على

القبيلة .. ولا آحد يأكل اللحم وحده . وكذلك اذا تقـدم السن بأحدهم فان كل القبيلة تشترك فى سداد حاجاته وكل واحد يعطيه نصيبا من السكر والشاى واللحم والأقمشة .

ولا يوجد طوارقى يشحذ .

والسارق يعاقب بالطرد والنبذ والمقاطعة الكاملة من القبيلة .

والقاتل يحكم عليه بالقتل .. والحكم يصدره الرئيس الأعلى للقبائل « امينوكال » .

والطوارق معمرون . والواحد منهم يبلغ الثمانين وهو محتفظ بجميع لياقاته وفى صحة جيدة .. والسر فى ذلك هو حياة الهـواء الطلق والطعام القليل وبساطة المعيشة وخلوها من القلق والهموم .

والطوارقى لا يأكل الا وجبـة واحدة وباقى اليـوم يشرب اللبن ؛ وأثنـاء الترحال الطويل يكتفى بشرب اللبن وأكل التمر وهو يشرب من اللبن كميات كبيرة ، وأحيانا لترا كاملا فى المرة الواحدة ، وهو دائمـا لبن حامض .. وهـو لا يعرف الخمر ولا المخدرات .. ويمضغ الدخان ولا يدخنه وهم يحكون عن أوفانايت الذى كان مغرما بتدخين البيبه وعاش ١١٥ سنة .

والطوارقى لا يرهب عندما يحضره الموت ينطق بالشهادتين اذا كان مسلما والا فهو يرفع أصبعه السبابة ويطلق آخر تنهيدة .

ويعقب الموت الغســل ثم التــكفين والدفن على الطريقــة الاسلامية حيث يمــدد متجهــا الى القبلة ، ثم تفك خيمــة الميت ويصبح مكانها حراما لا ينصب أحد خيمته فيه .

وترفع الراية البيضاء على الخيمة حينما يموت أحد فيها .

والحداد والملابس السوداء واللطم والندب والعويل أشــياء غير معروفة بين الطوارق ، والكلمة التى تقال عنــد الموت لأهل الميت : علينا أن نفرح ، فقد ذهب من نحب الى الجنة .

والزوج يلبث ثلاثة أيام بعد وفات زوجتــه فى خلوة كاملة داخل خيمته لا يبرحها ..

والزوجة تظل أربعة أشهر وعشرة أيام فى اعتكاف كامل ، ثم بعد هذا تستطيع معاودة الحياة الاجتماعية العــادية وتتزوج اذا أرادت .

والزوجة لها مقام عال ولها احترام فى بيت الزوجيــة ،وهى تشارك زوجها جميع المسئوليات والأعباء ، ورأيها يؤخذ فى كل الشئون .. وتعــدد الزوجات غير معروف بين الطــوارق مع أن الاسلام يبيحه .. ولا تفسير لهذه الظاهرة سوى أن الطوارق قد ورثوا مع ما ورثوه من تقاليد « تقديس الأم » استمرارا للقوانين القديمة التى كانت تضع الأم على رأس القبيلة وتنسب الابن لأمه

قاموس تارجى عربى

الكلمة العربية	الكلمة التارجية
البيض	تيسادالن
الخبز	تاجلا ـ تاكايا
الشاى	شاهى
القمح	ايرد
الذرة	اينالى
التمر	تينى
البصل	ايفيليل
الشعلة	الحر
الشعير	تيمظن
اللبن	آخ
اللحم	ايسان
الدخان	تابا
ملعقة	تاسوكالت
اناء الطبخ	ايفير
الحلو	ياظيه
المر	سهم

لا لأبيــه وتعطى المرأة الحق فى أن تتزوج أكثر من زوج ، وأن تكون الحاكمة على أزواجها الرجال والحاكمة على القبيلة كلها .

وفى كتاب تاريخ السودان نجد بالفعل المؤلف يروى لنا أن فى سنة ١٤٧٥ كانت تقطن الســودان قبيلة من البربر تحكمهــا امرأة اسمها بيجوم كابى .

ومعنى ذلك أن نظام سيادة الأم كان معروفا بالنسبة للبربر القدامى .

وبالرغم من انقراض هذا النظام الا أنه ما زال يخلف تلك الآثار من تقديس المرأة فى قبيلة الطوارق .. فالمرأة تعمل وتعزف الموسيقى وترأس الحفلات وتختار حبيبها وتختــار زوجهــا .. وترفض تعدد الزوجات بالرغم من أن الاسلام يبيح هذا التعــدد شرعا .

ومن أسماء الرجال .. أوخا . اخديدى . أخيا .. أخنوخا .

وأخيا التارجى كان فارسا شهيرا حارب الأتراك فى غات وقتل حاميها وقاد ثورة مطالبا بالامتيازات السياسية .

وأخنوخا التارجى عاصر نابليون .. وأرسل له نابليون الرسل لبعقد اتفاقية بين فرنسا والطوارق فرفض أخنوخا ..

ومن أسماء الفتيات .. فتاتا .. ومالا .

القبلات بحك الأنف بالأنف

الأنف بالأنف .. القبلان بحك الأنف بالأنف . القبلان بحك الأنف بالأنف

يبدو أن قلب الصحراء الليبية كان مسرحا لانسان ما قبل التاريخ .. تدل على ذلك الثروة الهائلة من الآثار والمخلفات من العصر الحجرى .. ما تكاد تحفر فى الرمل حتى تعثر على تلك الآلات العجيبة .. سكاكين وبلط وحراب وسهام ومناشير ومبارد حجرية وآبر من العظام ..

وتلك التلال من الحصى المرصوص عند أقدام الجبال هى ما تبقى من شواهد المدافن القديمة . ما تكاد تحفر تحتها حتى تجد مئات من الهياكل العظمية والآدمية لهؤلاء الذين رقدوا رقود الموت منذ عشرة آلاف سنة .

وعلى جدران الكهوف ترك الفنان الأول رســـومه الأولى وأولى مغامراته فى عالم الفن .. صـــورا محفورة بأناقة مذهلة وملونة للغزال والزراف والثور وللرقص والصيد والزواج والحب رسمها قبل أن يعرف كيف يكتب وكيف يتكلم .

وكل تلك القبائل كانت من أجناس ما قبل التاريخ ، من ذلك الجنس الذى ظهر فى الشمال الأفريقى والذى يعرف باسم «كروما جنون » .

ويقال ان أصل الطوارق من البربر وأصـــل البربر من جنس الكروما جنون .

وفى أحد الآراء أن الفراعنة أنفسهم من البربر . ويساق هذا الرأى كتفسير للطفرة الحضارية التى حدثت فى وادى النيـــل وكيف كانت بتأثير هجرات من الكروماجنون والبربر .

ومعنى هذه النظرية أننا سنلتقى مع الطوارق فى سابع جد .

وفى رأى آخر أن أصل الفراعنة آسيوى .

والكلام كثير فى أصل الفراعنة والحقيقة غير معروفة ..

لكن مما لاشك فيه أن الصلات بين مصر وليبيـــا عن طريق التجارة والهجرة والحروب لم تنقطع طوال التاريخ القديم .

أما الطوارق البيض والشقر ذوو العيون الزرقاء فهم من دماء أوربية جاءت الى الشمال الافريقى عن طريق البحر فى الزمن القديم .. وفى قول آخر أنهم من أصل أفريقى وفينيقى وكريتى .

وطوارق الجنوب السود ذوو التقاطيع الزنجية من أصل سودانى جنوبى .

والمؤرخون العرب لهم نظرية خاصة فى أصل البربر .. يقول ابن عبد الحكم انهم من فلسطين وأنهم هربوا بعد مقتل ملكهم جالوت بيد النبى داود وهاجروا الى ليبيا .

ويتحدث صاحب المسالك عن هجرة قبائل الهوارة والزناتة والداريسة والمخيلة وانتشارهم بين طرابلس والدواخل الصحراوية .

ويقول ابن خلدون ان البربر هم أولاد كنعان ونوح .

أما الرأى الأوروبى الذى يقول بأن الطوارق فينيقيون هربوا من وجه الاسكندر المقدونى فهو رأى خاطىء لأن وجود هذه القبائل قديم وثابت منذ أيام هيرودوت وقبل الاسكندر بزمن طويل .

ومن طريف الوثائق ما كتبه هيرودوت يصف جبلا سماه بجبل الأطلس يقول هيرودوت :

« وقد وجدته جبلا مرتفعا شديد الانحدار من ناحيته حتى ليستحيل على الناظر أن يرى قمته التى يغطيها الضباب صيفا وشتاء .. ويقول سكان الوادى ان هناك على القمة تقوم دولة السماء ويسكن أهل الاتلانتيس » .

ورد هذا الكلام فى رحلة هيرودوت الى شمال أفريقيا ووصوله الى منطقة طوارق الهجارة فى الجزائر .. وأغلب الظن أنه قصد بالقمة التى وصفها القمة المعروفة الآن « مونت أودان » .

ولكن خرافة دولة السماء وقارة الأتلانتيس ما لبثت أن تناولها أفلاطون ليجعل منها المسرح الخيالى لجمهوريته حيث تصورها جزيرة فى وسط البحر يسكنها صفوة من المثاليين ويقوم عليها مجتمع نموذجى هو الذى وصفه فى جمهورية أفلاطون .

ثم انتقلت خرافة الأتلانتيس لتصبح القارة المفقودة بين أفريقيا وأمريكا التى ابتلعها المحيط وحق عليها عقاب الاله العادل حينما خرجت عن طاعة الله ، (قصة أشبه بالجنة وطرد آدم) ومنذ ذلك الحين دخلت قارة الأتلانتيس الى كتب الغيبيات وتحولت الى لغز مثير .. والأصل سطر كتبه هيرودوت فى رحلته الى طوارق الهجارة ..

وهيرودوت يسمى قبائل الطوارق « ناسامون » ناس آمون ويذكر عنها أنها قبائل تصطاد الجراد وتجففه فى الشمس ثم

تطحنه وتمزج الدقيق الناتج باللبن (وهى عادة موجودة عند بعض الطوارق الى الآن) .

ويذكر هيرودوت أن ناسامون لهم أيام مقدسة يترددون فيها على قبور أجدادهم لأخذ مشورتهم فى أمور الحياة الدنيا أو نسؤالهم عن المستقبل . (وهى عادة ما زالت متبعة عند نسوة الطوارق يبتن الى جوار المقابر ليحلمن بأخبار المفقودين والغائبين) .

ويذكر هيرودوت طريقة تصفيف الشعر وتسريحه عند الطوارق بما يتفق مع الملاحظات المشاهدة حاليا .

وقد لمعت أسماء غريبة لرحالة ومؤرخين ذرعوا رمال الصحارى وألفوا المراجع القيمة أمثال : البكرى .. والادريسى.. ابن سعيد .. ابن فاطيما .. أبو الفدا .. وابن بطوطة .

يقول ابن بطوطة انه عبر الصحراء الليبية لقبيلة برداما وهى قبيلة من البدو الرحل لاتستقر فى مكان وتمتاز بأن نساءها جميلات سمينات ويقول فيهن ابن بطوطة انهن أجمل ما رأى من نساء العالم .

ويضرب ابن بطوطة فى الصحراء شهورا يخترق فيها مناطق جرداء لا ماء فيها ولا شجر ويصف لنا مناجم للملح والنحاس ومياه حديدية تغسل فيها ثيابك فيسود لونها .. ثم يصف لنا

صحبته لقافلة بها ستمائة فتاة من الرقيق .. ثم يصف لنا وصوله أخيرا الى منطقة الهجارة ورؤيته لقبيلة عجيبة ، رجالها ملثمون ونساؤها سافرات « الطوارق » .

ولم تترك هذه القبيلة أثرا طيبا فى نفس ابن بطوطة . فقد استوقف بعض فرسانها قافلته وأخذوا منها أقمشة وبضائع ، وكان ذلك فى رمضان . ويقول ابن بطوطة عن حرمة شهر رمضان انه حتى لصوص الصحارى يتعففون فى هذا الشهر عن السرقة فلا يمدون أيديهم الى شيء ولو كان مفقودا وبلا صاحب .

اما ابن خلدون فينقل ما يرويه عن الطوارق من شهادة الآخرين .

أما الرحالة الأوروبى انتونيو مالفونتى ، فيصف الطوارق بأنهم جنس راق وفرسان على درجة عالية من النبل والشجاعة. ويقول انهم يعتمدن فى طعامهم على اللبن والأرز واللحم ، وانهم ألد أعداء اليهود ، ولا يجرؤ يهودى على الاقتراب من مضارب خيامهم .

ويقول هيرودت ان عبادة الأجداد كانت متبعة فى ليبيا القديمة .. وبالنسبة للصحراء الليبية القريبة من مصر كانت عبادة ايزيس وتقديم القرابين للشمس والقمر وتحريم أكل الخنزير ولحم البقر طقوسا متبعة .. وبالنسبة للجزء الشمالى من الصحراء

كانت الآلهة الاغريقية أمثال اله البحر والخصب والمطر تعبد .. وكانت القرابين البشرية تقدم فى القرن الثالث قبل المسيح .

ومن المحتمل أن يكون الطوارق الأوائل عبدوا آمون .. ولكن لا يوجد ما يؤيد ذلك فى الرسوم والحفائر القديمة .. فلم يعثر الى الآن على رسم قرص الشمس المعروف .

والرأى الآخر أنهم كانوا يعبدون الحيوان أمثال الثور والبقرة والزراف (العقائد الطوطمية) ، بدليل ما وجد من رسوم جميلة ومفصلة لهذه الحيوانات .

وبالرغم من وجود رسم الصليب فى بعض الآثار التاريخية الا أن دخول المسيحية اليها أمر مشكوك فيه .. وفى رأى ابن خلدون ان المسيحية لم تدخل الصحراء الليبية .. وهو رأى خاطىء لأن المسيحية دخلت غدامس أيام البيزنطين والرومان .

ولكن ابن خلدون يقول رأيا مختلفا فى الديانة اليهودية ،فهو يعتقد أن الديانة اليهودية تسللت الى الصحراء وأن اليهود انتشروا فى قبائل الهوارة بالذات .

ويحتمل أن يكون بعض أجداد الطوارق من اليهود ولكن الأمر المؤكد أن الاسلام اكتسح هذه القلة .

وقد دخل الاسلام الطوارق مع عقبة بن نافع وانتشر بين كل القبـــائل التارجية ، ولكنه بالنسبة لطوارق الجبل والدواخل الرحل كان اسلاما سطحيا . فمعظم العادات الوثنيـــة ظلت على حالهـــا وظلت اللغة على حالها وبقى القرآن كتابا يقـــرأ بطريقة ببغاوية دون أن يفهم ، مثله مثل التعاويذ الغامضة الأسطورية .

وهناك مدارس الدين واللغة العربية والقرآن ، ولكنها قليلة جدا ، وهى بالنسبة للقبائل الرحل غير معروفة .

ومع ذلك فقد ظل الاسلام على ضعفه هو علم المقاومة الذى تجمع تحت رايتـــه الطوارق الذين حاربوا الاســـتعمار الفرنسى والايطالى .

والاعتقاد فى الجن والأماكن المســـكونة والأرواح الطيبـــة والشريرة التى ترتاد الينابيع والجداول .. والاعتقاد فى الأشـــجار التى تلبسها الأرواح ، أكثر رسوخا عنـــد الطوارق الرحـــل من العقيدة الاسلامية الزائرة ..

وشىء مألوف أن ترى رجلا من الطوارق يرجم شجرة ليطرد منها الجن .. أو امرأة تعلق شبشبا قديما على باب الخيمة لتطرد الأرواح الشريرة ، أو تستعمل قرن خروب لمنع الحســـد .. أو عجوزا تبيع أحجبة وتعاويذ أو جلد بقرة للوقاية من لدغة العقرب والثعبان ، وهم يشمون جلد بقر الوحش كعلاج من لدغة العقرب.

والطارقى الذى يحلم بأنه يأكل البلح يفسر حلمه بأنه سوف يصاب بجراح .. فاذا حلم بثعبان فهو شر مستطير .. واذا حلم بأنه يحمل راية بيضاء فهو فأل حسن ، واذا حلم بأنه يحمل راية سوداء فهى كارثة .

وخرافة شائعة أن الذى يصاب بجرح يمتنع عن شرب اللبن اعتقادا منهم أن اللبن سوف يساعد على تكوين الصديد .

ومعظم هذه العقائد هى بقايا وثنية لم يستطع الاسلام أن يمحوها من الأذهان .

وقد ظل الطوارق يعيشون حياة مستقلة فى أغلب فترات حياتهم ، لم يستطع الغزاة من الفرس والرومان ولا التتار والهكسوس والوندال أن يقتحموا أسوار هذه العزلة لبعدها ولأن متاهات من الصحارى الجرداء كانت تحمى هذه العزلة من كل جانب .

ولهذا استطاع الطوارق أن يصنعوا لأنفسهم حياة وعادات وتقاليد وأعرافا وطباعا انفردوا بها وما زالوا يتميزون بها .

وكلما توغلنا فى الصحراء وخرجنا من غدامس الى أطراف البادية ومراعى الجبال والتقينا بالطوارق الأول الذين مازالوا يعيشون حياة الفطرة والتنقل بين قبائل الهجارة فى الجزائر والسودان والنيجر ، استطعنا أن نتعرف على تلك العادات

قاموس تارجي عربي

الكلمة بالعربية	الكلمة بالتارجية
الاصبع	ايفض
الانف	تيهار
الفم	ايمى
اللسان	ايلس
الذقن	تامرت
الشعر	آهيوف
البطن	تاسا
القلب	أوول
الكبد	آوسا
العقل	تايتى
المخ	آكلكل
الاسنان	آيسناث
الكف	ديكل
الذراع	آغوس
الساق	آبر
القدم	آزره
الأذن	تاما ظوج
الاظافر	آسكارن
الظهر	آرورى
الأكتاف	ايظرن
الراس	ايغاف

البدائية التى مازالت على حالها لم يهذبها الاسلام .. ومنهـا تلك الحرية الجنسية التى يتمتع بها الأولاد والبنات .. فمنذ أن يبلغ الولد سن الخامسة عشرة ويضع اللثام ويصبح رجلا .. يصبح له الحق فى حضور « الهال » ، وهو مجلس الكبار حيث يتسـامر الكل فى جو مختلط مفتوح فى شبه حفل يبدأ بعزف الموسـيقى (اليمزاد) ، وتعزفها فى العادة فتاة ثم السمر ثم الغزل فيميل كل شـاب على الفتـاة الى جواره يقبلهـا بحك الأنف فى الأنف ويتواعدان على اختلاس اللقاءات فى الخلاء .. ويحدث عادة أن تتم اللقاءات المختلسة فى نفس الليلة حيث يمارس الأولاد والبنات لعبة الجنس بلا حرج وبلا حمل .

والبكارة شيء غير معروف فى الطوارق (بحوث الأب فوكو والدكتور فولان) .

وفى حالات الحمل النادرة تذهب البنت الى الداية فتكتب لها تعويذة تذيبها فى الماء لتشربها فاذا لم يحدث الاجهـاض قامت باجهـاضها ، فاذا حـدثت الولادة يخنق المولود .. والبنت التى يعرف عنها أنها حملت دون زواج ينظر اليها فى احتقار من الجميع.

و بسبب حرية العلاقات الجنسية فان الزواج لا يحدث الا فى سن متـأخرة ثلاثين سـنة بالنسبة للرجل وعشرين سـنة بالنسبة للبنت .

وتبادل الجنس ليس عارا عند الطوارق وانما العار آن يكون ذلك بين رجل وجاريته آو امرأة وعبدها .

ومن الصعب الحكم على السلوك الجنسى للمرأة بعد الزواج من حيث الخيانة والوفاء . ولكن من المعلوم أن عقاب الزانية هو الموت .. ومن المعلوم أيضا أن الرجل قد يخون زوجته مع جارياته وعبدانه .. وفى حالة حبل احدى هذه الجاريات تكون فضيحة ويحدث فى مثل تلك الحالات أن تغضب الزوجة عند أهلها ولا تعود الا فى حالة دفع تعويضات مادية كبيرة .

ومن التقاليد العجيبة أن لقاءات الجنس بين العشاق تتم فى خلوة وخصوصية ، فاذا ضبط عزول هذه الخلوة فعلى العشيق الذى افتضح أمره أن يبادر باهداء العزول هدية فورية ، والا فان العزول يرفع اللثام كاشفا عن شخصيته ويصبح له الحق فى أن يحل محل غريمه فى خلوته ..

مجتمع غريب في الخلاء

مجتمع غريب فى الخلاء
مجتمع غريب فى الخلاء
مجتمع غريب فى الخلاء
مجتمع غريب فى الخلاء

مجتمع الطوارق مجتمع طبقى ... على رأس جميع القبائل نجد الأمير « أمينوكال » وهو الحاكم الأصلى لجميع القبائل ويصل الى الحكم وراثة عن أبيه كالنظام الملكى .. ورمز الامارة طبل كبير يعلق على باب خيمته ويقرع هذا الطبل عند قدوم الضيوف أو فى الحفلات أو فى الحروب .. وخرق الطبل هو أكبر اهانة يمكن أن تلحق بالأمير .

والأمير هو الذى يعلن الحرب ويدير خططها وهو الذى

يفض الخلافات بين القبائل ، وله خليفة ينوب عنه فى غيابه .. وهو يتقاضى الضرائب من جميع القبائل .

ويلى أمينوكال فى السلم الطبقى شيوخ القبائل ثم الفرسان ورجال الدين ثم الرعاة ثم الحرفيون وفى القاع نجد العبيد والخدم والجوارى .

والتزاوج بين فارس وجارية أمر مستهجن جدا ومشين .

والفرسان لا عمل لهم الا الحرب وحراسة القوافل والسطو على الأعداء ، وهم يحتقرون الحرفيين ويعتبرون العمل اليدوى وضيعا .

وتستطيع أن تعرف الفارس من مشيته ، فهو يختال فى خطواته ويختال فى كلماته ويتأنق فى ملبسه وأحيانا يلبس لثاما أحمر زيادة فى الأناقة .

ورجل الدين « شريفن » من الكلمة العربية شريف .. له مكانة محترمة فى قبيلة الطوارق ، وهو يعفى من الضرائب ، ويعتبر فى مستوى الفارس بالنسبة للمكانة الطبقية .. وهو الذى يدرس القرآن والشريعة الاسلامية لأطفال القبيلة .

والعبيد والجوارى وكلهم رقيق وأسرى غنمتهم القبيلة فى حروبها أو اشترتهم من تجار النخاسة .. يعاملون بانسانية .

فالعبد يمكن أن يمتلك رءوسا من الماشية أو حصانا ، وهو اذا بلغ سن الزواج فان سيده يعطيه مهرا ليتزوج .. واذا أنجب السيد من جارية فان الابن الذى ينجم من العلاقة يحق له الميراث .. ويستطيع العبد أن يخرج من خدمة سيده ليلتحق بخدمة سيد آخر بسبب سوء المعاملة .. واذا تزوج السيد من جاريته فانها تصبح حرة .. وبعد الغاء الرقيق تحول العبيد الى خدم وظلوا ملازمين لقبائل سادتهم ..

أما أصحاب الحرف فهم فئة محتقرة وكل من يزاول عملا يدويا محتقر عند الطوارق . والطارقي يخاف من الحداد ومن كل من له صلة بالنار أو من يطرق المعادن ويظن أنهم على صلة بالشياطين والجان ولذلك يسكن بعيدا عنهم ويتجنبهم .

والحلاق عند الطوارق يحلق الشعر ويخلع الأسنان ويقوم بالعمليات الجراحية الصغيرة كالطهارة وايقاف النزيف وعلاج الجروح .

والحرفيون يعتبرون من جنس مشبوه ، وهم يتهمون بالتجسس أحيانا وبالخيانة ولكن لا أحد يجرؤ على قتل حرفى لأنه يخشى من انتقام الجن لروحه .

والحرفيون أذكياء وحكماء ، وفيهم من يتقن الكتابة ومن

يلقى الأقاصيص والحكايات وبعضهم يرقى الى درجة مستشار الأمير .

وهم يتلثمون كبقية الطوارق ، ولكن لهم لغة خاصة سرية يتخاطبون بها ، ولهم تعاويذ وطقوس خاصة .. وهم لا يزيدون فى مجموعهم عن خمس أو ست عائلات .

والمعتقد أنهم من أصل يهودى وأنهم مهاجرون من فلسطين، يدل على ذلك تلك المطروقات الفضية الأنيقة الراقية والمفاتيح والأقفال المعقدة التى يصنعونها والتى لا تتناسب مع الحياة البدائية التى يعيشها الطوارق ،وتدل أيضا عاداتهم العنصرية فى عدم الزواج من خارج جنسهم .

واسم هذه الفئة العاملة باللغة التارجية « اينادين » أى (من لا اسم لهم) وهذا امعان فى تحقيرهم .

وبعض قبائل الطوارق غنية نسبيا . ففى قبيلة مثل كيل هجار أكثر من عشرة آلاف رأس من الابل ، وفى قبيلة أخرى مثل داج رالى لا تزيد الابل على ألف رأس ، بينما قبيلة ثالثة هى التأتيوك لا تزيد ثروتها على ثلاثمائة رأس .

والطوارق يعتمدون فى حياتهم على الرعى والصيد متنقلين من واد الى واد الى حيث تجود المرعى ويكثر المطر ، وأهم

محصول طبيعى يتاجرون فيه هو الملح ؛ يحملون به القوافل الى السودان لتعود بالتالى محملة بالأقمشة والحبوب . فاذا شح المطر وجف المرعى انتشروا فى الصحارى والجبال يقطعون الطريق على القوافل .. فاذا استمر الجفاف نزحوا الى السودان .

وهم فى الشتاء يفضلون سكنى الوديان المنخفضة فى أحضان الجبال التى تحميهم من الرياح .. وفى الصيف يفضلون سكنى الأعالى والقمم حيث الجو طليق .

وكل قبيلة لها مضارب خيامها ولها مجالاتها الخاصة التى تتحرك فيها وهى تعود من موسم لموسم لنفس الأماكن التى بدأت منها .

والخيام تصنع عادة من جلد الماعز ، يدهن بالزبد وبسادة حمراء لوقايته من الشمس والمطر .

والمعتاد أن ينام الرجل فى شرق الخيمة ومعه الأولاد بينما تنام الزوجة فى غربها ومعها البنات .

ولا ينام على سرير الا الأمير وشيوخ القبائل .

أما المطبخ فهو دائما خارج الخيمة وهو عبارة عن موقد حوله بعض الطوب والحجارة لحمايته من الريح .

وهم لا يستخدمون حجارة البازلت السوداء لأنهم يعتقدون

أنها مسكونة بالجن والسبب أنها تفرقع بصـوت شـديد بتأثير النار .

والنار عند الطوارق لها أسطورة مقدسة .. فهم يقولون ان النار خلقها الله للانسان ليطهى عليها طعامه ولكن الشيطان عرف سرها وسرقها ثم أعطاها لصديقه الحداد ليصنع بهـا الحـديد ولهذا خلق الله الجحيم وخصصها للشيطان عقابا له على سرقته .

وهم لا يوقدون النار فى داخل الخيمة وانما دائما خارجها .

والأثاث عبارة عن صندوق ومخلاة بهما ملابس وعدة أطباق وملاعق خشبية وأوتاد لتثبيت الخيمة واناء للماء وطاسـة لحلب اللبن وأكواب وفناجين .

والمرأة هى التى تنصب الخيمة وهى التى تفكها وتحملهـا على الحمير وهى التى تصنع الأدوات الجلدية والأطباق والأوتاد الخشبية .. وهى تستعمل فى تنقلاتها الحمار ولا تركب الابل الا من كانت زوجة لفارس أو أمير .

وكل قبيلة تخزن ما عندها من فائض التمر والحبوب والمواد الغذائية فى مخابىء وكهوف بالجبل ، وعندهم عقيدة أن الله يرعى هذه المخابىء ويسـهر عليها بنفسه .. وهم يهاجرون ثم يعودون اليها فيجدونها على حالها ، فالتارجى لا يمد يده أبدا الى مثـل تلك المخابىء .. وعقاب السارق فى مثل تلك الحالات شديد .

وهناك أكثر من ستة أصناف من الأعشاب الجبلية والجذور مما يأكله التارجي أثناء الطريق هو ومواشيه ليهدىء جوعه .

واللبن والزبد والجبن والحبوب والتمر هي غذاؤه الرئيسي، وهو يأكل اللحم في حالات قليلة حينما تشرف احدى مواشيه على الموت فيذبحها وحينما تجف المراعي فيذبح الناقة التي يراها تموت جوعا أمامه .. وهو يأكل الأرانب والغزلان والجراد .. والجراد المشوي طعام فاخر عنده .. أما لحم الدجاج فيعتبر نجسا مثل الخنزير وبالمثل السمك ..

ولا يجوز أكل ذبيحة لم يقرأ عليها اسم الله ولم تذبح وفقا للشريعة الاسلامية . وواضح من أنواع التحريم أنه يجمع بين التحريم الاسلامي والتحريم الوثني .

والأكلة الشعبية هي نوع من العصيدة باللبن .

وهم يستعملون الجبن المجفف والطماطم والبصل في تصنيف ألوان من الصلصات . وفي حفلات الزواج والحفلات الدينية تذبح ناقة وتشوى على النار وتقدم مع الكسكسي وتحفظ الرأس والعنق للنساء ، ويقدم الفخذ والموزة والضلوع للضيوف.

وهم يأكلون بالملعقة .. وعادة الأكل بالملعقة عادة غريبة بالنسبة للحياة البدائية التي يحياها التارجي ، ولكن تفسيرها هو حرصه على عدم رفع اللثام أثناء الأكل وبالتالي احتياجه الى وسيلة كالملعقة لدس الأكل في فمه .

والابل والماعز والماشية والحمير والكلاب هى الحيـــوانات التى يربيها التارجى .

وهم فى العادة يختمون ابلهم بعلامات خاصة ، كل قبيلة لها علامة مميزة تختمها على رقبة الجمل أو فخذه بطلاء أحمر .

ورأس ابل عنـــــدهم أثمن من وزنه ذهب ، أمـــا الحمـــير فلا يهتمون بها ، وأحيانا لا تعرف القبيلة عدد حميرها وأحيـــانا حينما يشح المرعى تترك القبيلة جزءا كبيرا من حميرها وترحل .

وهم يصـــطادون الغزال وبقر الوحش والزراف .. يخـــرج أربعة من الطوارق معهم عشرة كلاب فى فرقة صـــيد ويطاردون الفريسة حتى تسقط اعياء ، وهى فى حالة الغزالة وسيلة كافية ، أما بقر الوحش ، وهو حيوان شديد البأس ، يدافع عن نفســـه حتى الموت فيحتاج الأمر الى حصـــار وقتال بالحراب أحيـــانا يذهب ضحيته عدد من الكلاب أو الصائد نفسه .

ولكنهم الآن يستعملون البنادق فى كل شىء بدرجة تهـــدد وحوش الصحارى بالانقراض .

والتقاليـــد المتبعة اذا طاردت قبيلة حيـــوانا فى أرض قبيلة أخرى واصطادته أن تعطى جلده ورأسه ونصيبا من اللحم للقبيلة صاحبة الأرض .

والطوارق رحل لا يزرعون الأرض احتقارا للعمل اليدوى

واحتقارا للاستقرار ولكن فى بعض الأماكن حيث يغزر المطر وتكثر العيون الجوفية تجد التـارجى يزرع القمح والشـعير والجزر والعدس والبصل والبطيخ والشمام .. وتجـد حدائق من التين والعنب والنخيل .

لكن مثل تلك المزروعات تصبح تحت رحمـة الحر والبرد والعواصف والسـيول والجفـاف وجدب الأرض وافتقارها مع تكرار الزراعة .. والتارجى ليس عنده طول بال الفلاح ولا صبره، وهـو ما يلبث أن يهجر الأرض التى أجدبت دون أن يفـكر فى اصلاحها .

وهو حينما يزرع فليأكل لا ليبيع .

وسعادته وهو يضرب فى الفلوات تعدل محصول ألف فدان .. يكفيه ما يحلب من ألبان ابله وما يقطف من بلح وتمر فى الطريق وما تجود به المرعى ، فاذا جف فأرض الله واسعة .

وليست من عادة التارجى الاغتسال يوميا بسبب شح المـاء فى الصحارى ، وهم يقولون ان الاغتسال يوميا ضـار بالبشرة وهذا صحيح نظرا لملوحة المياه وجفاف الجو كما أنه يؤدى الى تشقق الجلد .. وهم لهذا يستعملون الزبد للتطرية .. ويتوضئون للصلاة بطريقة التيمم (بالرمل الجاف بدون ماء) .

ولكنهم شـديدو العناية بأسنانهم فهم يستعملون السـواك والمضمضة بالماء عدة مرات بعد الأكل .

وهم يحلقون للأطفال رءوسهم الا خصلة يتركونها فى الوسط.

والنساء يضفرن شـعورهن ضـفائر كثيرة على الجـانبين ويستعملن الزبد للشعر .

والنساء والرجال يحلقون شـعر العانة ويقصـون أظافرهم ويكحلون عيونهم ، ومخلفات الشـعر والأظافر تدفن فى مكان بعيد حتى لا يسحر عليها أحد أو يقرأ عليها تعاويذ مهلكة .

والوشم غير معروف لكن المرأة تستعمل الأحمر للزينة .

وفى المهرجانات قد تجد امرأة تنقش على وجهها رسـوما عجيبة (طريقة الهيبى) ، وترقص كنوع من التهريج أو كبقـايا طقوس وثنية .

والمرأة التازجية أقصر من الرجل وأكثر سمنة واسـتدارة وهى ذات عيون واسـعة كحيلة وجبهـة عاليـة ويدين دقيقتين رقيقتين .. والسمنة عنصر هام فى الجاذبية الجنسية عند النساء وهن يتوسلن اليها بكل طريقة ويأكلن أنواعا خاصة من الأعشاب يعتقدن أنها تسمن (كالمفتقة عندنا) .

علاج الإمساك بشجرة الأجرجر

الطوارق أطباء بالفطرة .

وهم يطببون المرضى بالفصد والكى والحقن الشرجية والعلاج بالأعشاب .

وعندهم ما يشبه تذكرة داود وعلم غزير بالأعشاب القابضة والمسهلة والمخدرة والمدرة للبول والمقوية للقلب ، ويستعملون الورق المغلى والمجفف والمسحوق والبذور والجذور بفطنة ربما وصلت اليهم عن طريق العرب .

وهم يستعملون لبن الحمير كعلاج للسعال .

ويجففون شجرة الأجرجر ويدقونها ويستعملونها علاجا للامساك .

ويداوون الاسهال بشجرة النبق .

والأمراض عندهم قسمان : مرض جسدى يعالج بالأدوية ، ومرض روحى يعالج بالسحر « آمى كيللو » .

وعلاج من تلبسه الأرواح الشريرة هو القاء الرعب فى قلبه عن طريق رقصة مخيفة بالأقنعة تتخللها الصرخات والطبول حتى يفقد الوعى ويدخل فى غيبوبة تخرج أثناءها الروح الشريرة وتفر مذعورة ولا تعود .

وهم يمارسون الجراحات البسيطة كالطهارة وعلاج الجروح وتجبير الكسور والقطع الحادث بعد الطهارة يدهن عادة بالزبد .

والأناقة وحسن المظهر مسألة غاية فى الأهمية بالنسبة للتارجى .. أهم من الطعام أن يتأنق ويختال ..

والطوارق أصحاب قامة طويلة وفرع باسق وأكتاف عريضة ، وهم يرفعون رءوسهم فى اعتزاز حينما يمشون كأنهم أمراء أسطوريون . ويلبس الواحد منهم سروالا واسعا يغطى قدميه ، وفوق السروال عباءة فضفاضة بيضاء أو زرقاء أو ملونة ، وعلى الرأس تلفيعة تلتف كالعمامة وتغطى الرأس ثم تنسدل كاللثام

فوق الفم والأنف فلا يبقى ظاهرا منه الا العينـان السـوداوان البراقتان .. وفى القدمين يلبس صندلا .

والرجـل يتحلى بالخـواتم الفضية المزركشـة والأسـاور المنقوشة من حجر الشيست .. وعلى الأساور يكتب عادة عهدا بالوفاء لحبيبه أو دعوة بالقوة والتوفيق فى القتال ..

وهم يتنافسون فى حمل الأكياس الجلدية الأنيقة .. جراب جلدى للولاعة .. وجراب جلدى للسـواك .. وجـراب جلدى للابر .. وجراب جلدى فيه آية قرآنية أو تعويذة .. يحملهـا فى سلسلة مدلاة على صدره ..

وبالنسبة للنسـاء هناك تصانيف أكثر من الحلى .. هنـاك خواتم من الفضة كبيرة ذوات الفصوص وأحيانا بدل الفص تجد علبـة صـغيرة للعطر .. وتلبس المرأة اثنين أو ثلاثة من هـذه الخواتم الكبيرة فى اليد الواحدة .. وهى دائما من الفضة .. لان الذهب مكروه عند الطوارق ولا أحد يتحلى به لأنهم يعتقدون أنه مجلبة للشر والطمع .

وهناك رواية يرويها مؤلف من تمبوكتو عن رئيس الطوارق (أكيل) الذى كان يرفض أن يلمس الذهب بيـديه لأنه يجلب النحس .

والأســاور المنقوشة من الفضة والمحلاة بفصوص اللؤلؤ .. والأساور الزجاجية والأساور الجلدية المحلاة بفصوص كريمة .. والقلائد التى تتدلى من العنق وفيها فص من العاج .. والكردان.. والبنتنتيف ذو الفص الأحمــر من المرجان .. والدلايات الفضــية المزركشة .. كلها حلى ضرورية بالنسبة للمرأة .. والحلق يكون عادة من الفضة وكبير ويتدلى على العنق .

وفى الشعور والضفائر حلى أخرى تتدلى على الظهر .. هذا عدا الأحجبة الفضية وجراب الكحل وجراب الابر .

والنساء لا يلبسن هذه الحلى الا فى الأفراح والمهرجانات .

أما فى الأيام العــادية فتودع هــذه الحلى فى صناديق ذوات أقفال حديدية يحمل التارجى مفتاحها فى حله وترحاله .

والمرأة التارجية صانعة ماهرة ، فهى التى تسلخ الجلد وتدبغه وتصقله وتصنع منه الخيام والحلى الجلدية والصنادل والحقائب.. وهى أيضا التى تصنع من الخشب أوتاد الخيمــة والصــحون وأوانى الحليب .. وهى التى تصنع من القش القبعات والحصر.. وهى التى تغزل من فراء الماشية الحبال المتينة .

وهى تؤدى عملها دائما بدرجة عالية من الدقة والتفنن .

والفتيــات ذوات المنبت العريق يتفاخرن بما تصنع أيديهن من تلك الأدوات ولا يتركنها للعبيــد ، وانمــا يصنعنها بأيديهن ويقدمنها هدايا حب لأصدقائهن .

وصـــناعة الجلد والخشب والقش والصــوف هى الصناعات التارجية الأصيلة ولها تقاليد وأسلوب وخصائص وملامح مميزة .

أما الحدادة وصناعة المطروقات وتشكيل الفضــة والنحاس وصناعة الأقفال والمفاتيح والولاعات فيختص بها « الاينادين » كما ذكرنا ، وهم من أصل يهودى .. وهم يعتمدون على صـــهر العملة الفضية كمصدر لخام الفضة .. أما الحديد فمن صهر الخردة والعلب الفارغة التى يجمعونها من الطريق .. والنحاس من صهر الخرطوش الفارغ .. ويصنعون منه الأقفال والســكاكين والابر والملاقط والأدوات الدقيقة .

أما الأسلحة فهى مستوردة فى أغلب الحالات .. لـــكن بعض القبائل التى تسكن فى أماكن يوجد بها خام الحديد بكثرة تشتغل بتعدين الحديد وتصنع الخناجر والحراب والأسلحة .

أما صناعة الفخار فقــد اســتخدمها العبيــد .. وهم الذين أدخلوها للطوارق .. وهم الذين يصنعون الطواجن الفخــارية والأوانى المختلفة .

ونظام القوافل فى الطوارق يختلف عن نظام القــوافل عنـــد العرب . فالطوارق يركبون دائما فى مقدمة قوافلهم لاستكشاف الطريق ويتركون وراءهم مرشـــدين يوجهــون الابل للاحتفاظ بالصف (والسبب هو ارتفاع وهبوط وتعرج الطرق الجبلية) ..

بينما يركب العرب فى مؤخرة قوافلهم ويتركون الابل شبه حرة دون مرشدين لسبب واضح أنهم يسكنون فلوات منبسطة لا عوائق فيها وهم لهذا يكشفون الطريق كله من مكانهم فى المؤخرة ويوجهون خط السير دون صعوبة تذكر ويدعون الفرصة للابل لتنتقل وراء العشب كيفما شاءت دون قيود الصف ، فالأعشاب شحيحة ومتفرقة فى الصحارى وليست بالكثرة ولا التركيز كما هى فى الوديان الجبلية ..

والطوارق أحيانا يؤجرون لحراسة القوافل التجارية مقابل نصيب معلوم من البضائع ، وأحيانا يعطون الأمان لقافلة لتمر فى أراضيهم مقابل ضريبة محددة ، وأحيانا يقدمون ابلهم ومرشديهم للقوافل مقابل عمولة .. وهى مناسبات تشكل لهم مصادر سخية للدخل .

ولم تكن هناك عملة مصكوكة خاصة بالطوارق .. وانما كانوا يتعاملون بالمقايضة ويعتبرون مقطع القماش وحدة للتعامل.. ولكن الجنيه التركى الذهب كان عملة مقبولة .

والقاعدة عند خروج الطوارق بقوافلهم للمقايضة فى السودان أنهم يتركون النساء والشيوخ والأطفال فى مضاربهم ولا يخرج للارتحال الا الرجال القادرون .

وقطع الطريق على القوافل السرقة والسطو هو عادة بعض

قبائل الهجارة وليس كلها ، والفرسان يحكون عن هذه المغامرات فى مجال التفاخر والزهو أمام النساء .. وهم يقومون بها بدافع سلب الحلى والثياب الجميلة لاهدائها للعشيقات والحبيبات.

والصيف هو الموسم المختار لمثل تلك المغامرات لان الجفاف والحر وشح المرعى يدفع القبائل للتفرق بحثا عن العشب .

وتوضع الخطة فى المساء ثم يخرج الرجال فى ارتحال سريع بغية انقضاضة مفاجئة قبل الفجر على خيام القافلة .

وبعد معركة سريعة يفر الحراس عادة ، فيقود اللصوص الابل ثم يدخلون الخيام ويجمعون ما يجدون من حلى وثياب ويفرون .

ويحدث عادة أن تنقض القبيلة المعتدى عليها فى هجوم مضاد يرصدون له كمائن خاصة عند الآبار التى يعرفون أن اللصوص سيردونها فى طريق العودة .

ويحدث الالتحام ويقع قتلى وجرحى كثيرون .

وأحيانا يحدث اتفاق سلمى وتدفع القبيلة المعتدى عليها ضريبة محددة من الابل والثياب فى مقابل تسوية معقولة .

وقطع الطريق على القبائل السودانية يكون عادة بهدف خطف البنات والأولاد لبيعهم فى أسواق النخاسية أو استخدامهم كعبيد .

أما الحروب المنظمة بين القبائل فأكثر ندرة من حوادث قطع الطريق وهى تحدث عادة لأسباب سياسية .. تنازع على السلطة أو خلاف حول المراعى .

وهم يختارون الشتاء موسما لحروبهم حيث تكون كل قبيلة قد جهزت نفسها بخزين من التموين والمواد الغذائية .

ومن تقاليد الحرب ألا يعتدى على النساء الأسرى .

والاعتداء على امرأة أسـيرة وصـمة عار لا تمحى فى جبين المعتدى وقبيلته .. وكثيرا ما حدثت سلسلة من الحروب الانتقامية بسبب مثل هذا الحادث .

والأسلحة المسـتعملة فى الحروب هى السـيوف والحراب والخناجر والبلط . أما العبيد فيسـلحون بالعصى ولا يحمـل الدروع الا النبلاء والرؤساء والقواد .

وقد دخلت البنادق والمسدسات والرشاشات الحروب القبلية بعد دخول الفرنسيين .

وأول رحالة غربى اكتشف الطوارق هو الانجليزى جوردون لانج ١٨٠٠ الذى بدأ رحلته من طرابلس الى تمبوكتو عابراغدامس وفى الطريق تعرف على الشيخ عثمان « شـيخ منطقة الزاوية »

الذى دله على مسالك الصحراء .. ولكنه قتل قبل أن يتم رحلته . قتله الأدلاء العرب الذين كانوا يرافقونه .

وفى سنة ١٨٤٩ استطاع الألمانى هنرى بارت أن يتم الرحلة التى لم يستطع زميله الانجليزى اتمامها ، فوصل الى تمبوكتو ثم عاد الى طرابلس مارا بكل قبائل الطوارق فى المنطقة .. وبذلك دخل التاريخ مع الرحالة العظام أمثال لفنجستون وستانلى وبرازا .

وأول مرجع واف عن الطوارق هو ما كتبه دوفيريه الفرنسى فى رحلة استغرقت ٢٨ شهرا ، رافقه فيها الشيخ عثمان والرئيس التارجى أخنوخ .

وقد حدث بعد ذلك أن دعا دوفيريه الشيخ عثمان الى باريس وقدمه الى نابليون الثالث .

وأعقب هذا اتفـاق تجارى بين الفرنسـيين فى الجزائر وبين الطوارق ..

وبعد ذلك بدأت المقاومة : فرفع الطوارق المسلمون شـعار « لا كفار ولا مشركين فى بلادنا » .. وبدأ التقتيـل يطارد كل بعثة فرنسية تحاول اختراق الصحراء .

وتوقفت البعثات عشرين عاما .

وفى عام ١٨٩٩ عاد الرحالة فوريد ومعه ثلاثمائة رجل مسلح

ليقتحم قلعة الصحراء .. وهذه المرة استطاعت البنادق الحديثـة والمسدسات المتعددة الطلقات أن تقتحم القلعة ، ورفع فورد العلم الفرنسي على واحة عين صالح وأعلن احتلالها .

وحاول الطوارق بقيادة «تيت» الهجوم على الفرقة الفرنسية ولكنهم عادوا وقد تركوا وراءهم سبعين قتيلا .

وبعد ذلك بدأت القبائل التارجية تعلن خضوعها واحدة بعـد أخرى .



اللغة البربرية والبربر

اللغة البربرية والبربر
اللغة البربرية والبربر
اللغة البربرية والبربر

بطول الشمال الافريقى .. فى ليبيا فى جبل نفوسة وزواره وفى جنوب تونس وفى وادى مزاب بالجزائر نجد اللغة البربرية والبربر.

وقد رأينا أن اللغة البربرية تدخل فى تكوين اللغة التارجية وتدخل فى تكوين اللغة الغدامسية وتدخل فى لهجات سكان الدواخل الليبية .

وقرأنا فى التاريخ أن البربر هم أصل الطوارق ، وفى احدى النظريات أنهم أصل الفراعنة أيضا .

وقد استطاعت الصحراء الليبية أن تذيب العرب والطوارق والبربر فى سبيكة واحدة متناسقة ذات وحدة وطنية .

وأمام الظلم والاستعمار يهب الكل .. كما يهب غوما العربى يهب أخيا التارجى وينتفض سليمان البارونى البربرى .

وقد عرفت القاهرة سليمان البارونى حينما كان يصدر جريدة الأسد الاسلامى .

وقد أطلق سليمان شعر لحيته ورأسه وأقسم ألا يحلقه الا حينما يخرج آخر جندى ايطالى من أرض الوطن .. وقاد الكفاح الليبى ضد الاستعمار الايطالى وسافر الى تركيا ثم الهند ثم توفى فى بمباى ومازال له فيها قبر يزار .

وفى اللغة البربرية يستعمل حرف (ت) للتأنيث كما فى العربية :

ديك : زيبط

دجاجة : تزيبط

حصان : أجمار

فرسة : تجمارت

وفى تصريف الأفعال يضاف حرف (و) ليدل على الماضى ويضاف حرف (أ) ليدل على الأمر وحرف (س) للمستقبل كما فى العربية.

يقتل : يناغ

قتل : ينغو

سيقتل : سينغ

أقتل : أنغ

وهناك شواذ مثل فعل يأكل وفعل ينام :

يأكل : ينت

أكل : يتشو

كل : انش

سوف يأكل : سايش

وفى فعل ينام يستخدم التخفيف فيحذف حرف (ط) للدلالة على الماضى :

ينام : يططس

نام : يطس

سينام : سيطس

نم : اطس

وللجمع يضاف حرف (ن) :

جمل : الغم

جمال : ايلغمن

قاموس بربرى عربى

الكلمة العربية	الكلمة البربرية
الابيض	مل لل
الاسود	زطف
الاحمر	ازقاغ
الاصفر	أوراغ
انا	نيتش
هو	نيت
انت	شك
هم	نيتن
ياكل	تيت
ينام	يططس
يشرب	يساو
يقتل	يناغ
العصفور	الشيشيو
الدجاجة	تيازيط
الصقر	ابرنى
الافعى	تليفساء
العقرب	تفاردنت
العنكبوت	أرتيلت
الدودة	تكيتشا
الثور	فوناس
البقرة	تفوناسيا
حمامه	تاحجامت
الصقر	ابرنى
الكبير	ازعلوك
الصغير	امزان

حصان : اجمار

أحصنة : اجمارن

ديك : زبيط

ديوك : ايزيطن

ذئب : أوشن

ذئاب : أوشانن

ومن الأغانى الشعبية البربرية التى يغنونها فى الأعراس مثـل أغنية «مبروك عليكى يا عروسة» عندنا .. هذه الأغنية وكلماتها بالعربية :

رأيتها نائمة وشعرها متناثر حولها

والأسطورة تلمع فى يدها

كانت متكئة

ونظراتى تحج اليها

كما تحج نظرات المؤمن الى مكة

بل أكثر .. استغفر الله

رأيتها تسير

وعودها ينساب كالسفينة

معبأة بكل ما يخطر ببالك

من عنبر وعطور وسلع جميلة

وكلماتها بالبربرية :

زر يغطط ططس

لغط يننس بمحال وس

ادباج دوفسنس يبجص

زر يغنيط تسكا

دبس شنحت خران مكا

لا بسل ما يبلع

زر يعطنل تبجور

الجدنس آمالبابور

يا سباسسامت يتشور

أبللا تسلد يللا دبس

والأعراس الشعبية لها تقاليد طريفة عند البربر .

أول يوم فى الفرح ويسمونه فرش الحصيرة « ايسساين جرتيلت » يطلقون الزغاريد والبخور وتغنى فرقة من العبيد « وكل المغنيات والراقصات عبيد سود وليسوا من البربر وهم نسل الرقيق القديم الذى أعتق وظل يخدم سادته ويتوارث هذه الخدمة أبا عن جد » . والبربرية الأصيلة تعتبر عادة بيضاء

وأحيانا شقراء لا تغنى ولا ترقص وان كانت بعضهن زجالات وشاعرات .

وفى اليوم الثانى من الفرح تقدم الصرة وبها الكسوة والحنة والسواك والبخور تحملها جارية فى موكب زغاريد من بيت العريس الى بيت العروس .

وفى الليل تقام حفلة ساهرة فى بيت العريس .. رقص وغناء وزغاريد .. ثم يتقدم أحد المغنين العبيد ويعدد محاسن المعازيم على الطبلة فى مقابل النقطة «ايريح» وفى ثالث يوم وهو يوم مشهود يشرف السلطان « العريس » فى المساء مع حاشيته ويجلس وعند قدميه يجلس عبيد .. وفى نفس الوقت تشرف السلطانة « العروس » لتجلس مع أترابها من البنات .

وتطول جلسة السلطان وهو يتلفت حوله فى ألاطة (وهذه الألاطة جزء من التقاليد) ، ثم يمد يده الى العبد الجالس عند قدميه فيعطيه زجاجة عطر ويمنحه منحة مالية وبذلك تفتتح الحفلة ويبدأ الرقص والغناء .

وفى الليل تسير السلطانة فى زفة وتعمل لفة على قدميها فى البلدة على ضوء المشاعل وأنغام وزغاريد فرقة العبيد .. والأغنية التى يرددونها فى تلك المناسبة :

ياللا أيا نروح
تدرتنر تام طوح
ومعناها .. هيا يا سيدتى .. اسرعى الخطو فالبيت بعيد .

وفى ليلة الدخلة يسير موكب يتقدمه أقرباء العريس الى بيت العروس ويأخذون السلطانة الى بيت عريسها .. وأثنـاء الطريق يطوق العبيد الموكب ويحجبـونه بملاءة كبيرة تخفيـه عن أعين الفضوليين .

والبربرية لا تتزوج الا بربريا .

والحب العذرى عندهم موجود ولكنهم محافظون جدا الى درجة التزمت . فالبنت تختفى وراء حجاب ولا تختلط بالرجال ولا يستطيع أن يختلى حبيبان فى خلوة .. والتعارف لا يزيد على نظرات مختلسة .

والأم هى التى تستطلع وتختار لابنها ثم يتقدم الأب ليخطب ويكتب الكتاب بمهر رمزى ٢٥ قرشا كما هو متبع فى الشرع ثم يشترك الزوجان فى الأثاث والجهاز .

وبالنسبة للموت تكتفى المرأة بوضع وشاح أســود حول رأسها لمدة أربعة أشهر وأحيانا وشاح أحمر « افكاى » . وتجتمع النساء فى مجموعات ليبكين « دموع الرحمة » ويشترك الجيران

فى جلب الطعام لأهل الميت ليأكل المعزون .. وفى اليوم الثـانى تذبح ذبيحة توزع على الأهالى وتتلى الختمة لمدة ثلاث ليـال « ايمبغران » .

والمجتمع البربرى مجتمع اسـتقرار يعتمد على الـزراعة (الحبـوب والزيتون والتين والرمان) . وهناك صـناعات غزل وصناعات جلود وأحذيه يحترفها بعض البربر .. ولكن صـناعة الحدادة تتوارثها أسرتان كلتاهما غير بربريتين .

وطبقة الصفوة الرائدة هم الموظفون الاداريون وفقهاء الدين ويسـمونهم « العزابة » ، وهم الذين يقـومون بالافتاء وتعليم القرآن والشريعة وكتابة عقود الزواج والطلاق .

وهناك قلة من كبار الملاك .

ومستوى المعيشة مرتفع نسبيا بين البربر والاقبال على التعليم كبير لأن كل واحد يحلم بأن يصبح « عزابة » .

والبوتاجاز والثلاجة والتليفزيون والترانزسيتور والكاديلاك والبويك دخلت جبل نفوسة .

أما العبيد والسود فيؤلفون طبقة داخـل بعضهم ، تحترف الزراعة والرقص والغناء والخدمة فى البيوت .

ويغنى السود فى أعراسهم أغانى تكشف عن ماضيهم الطويل الأليم :

باباى من كاواو
وأمى خادم
واللى جرى لى ما جرى لبن آدم
باباى من كاواو
وأمى حره
واللى جرى لى ما جرى للضره

ولكن بعض السود المحظوظين استطاع أن يتعلم فى الجامعة.

وبعضهم دخل الجيش والبوليس .

ولا يوجد مسيحيون بين البربر .

وكلهم محافظون الى درجة التزمت .

وهم يتبعون المذهب الأباضى .

والمذهب الأباضى يختلف فى بعض شكليات قليلة عن المالكى والشافعى والحنفى ، مثلا عندهم لابد من البسملة مع كل سورة.

والصلاة تبدأ بدون رفع اليدين الى جانبى الرأس .

والتشهد بدون حركة الأصبع .

والخلافة تجوز من خارج البيت الهاشمى لأن شرطهـــا هو الكفاية الخلقية والدينية وليس الدم الهاشمى .

وفى نظرهم أن على بن أبي طالب أخطأ حينما قبل التحكيم فى واقعة الجمل . وقد ثبت أن الموقعة حدثت بين جيش معاوية وجيش على .. واكتشف معاوية بذكائه أن فرصته فى النصر قليلة فأمر برفع المصاحف على أسنة الرماح وطلب التحكيم .

وفى نظر الأباضية ان عليا أخطأ بقبول التحكيم لأنه صاحب حق فى الخلافة . وبصرف النظر عن هــذه الفروق الشكلية فان البربر شديدو الايمان وشديدو التمسك بأخلاقيات الاســلام ، وهم ودعاء أمناء قلما يصل بينهم شجار أو خــلاف الى درجة البوليس ، لأنهم يحلون أكثر مشـــاكلهم على المستوى العائلى وعندهم كلمة « رجل جيالى » مرادفة « لرجل أمين » .

الحروف الأبجدية البربرية (التيفيناغ) وهي تشبه الحروف النارجية

َ

ب

ت

د

ج

ض

ز

ر

س

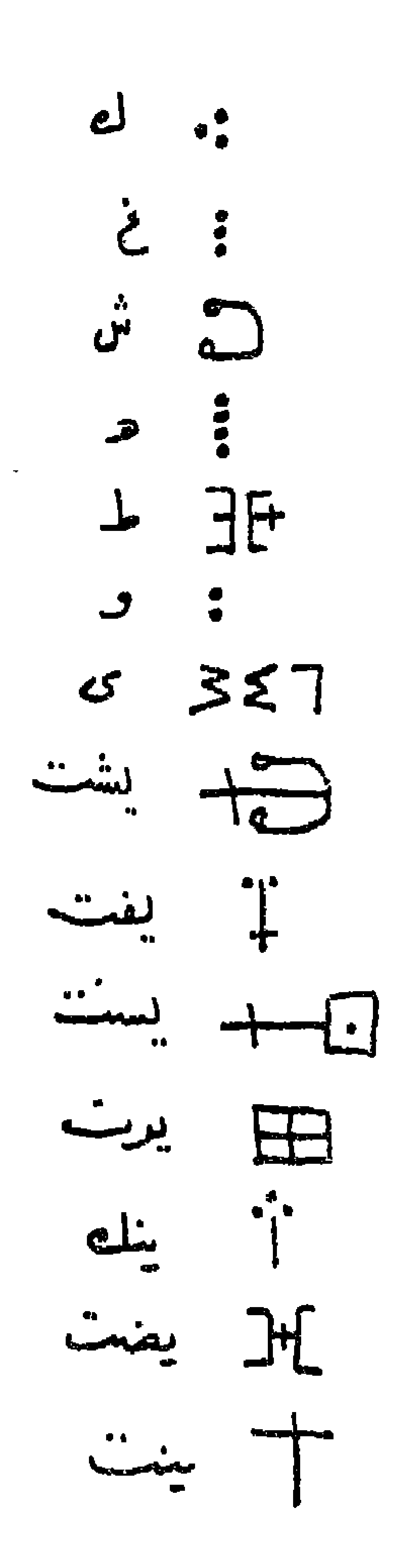
ق

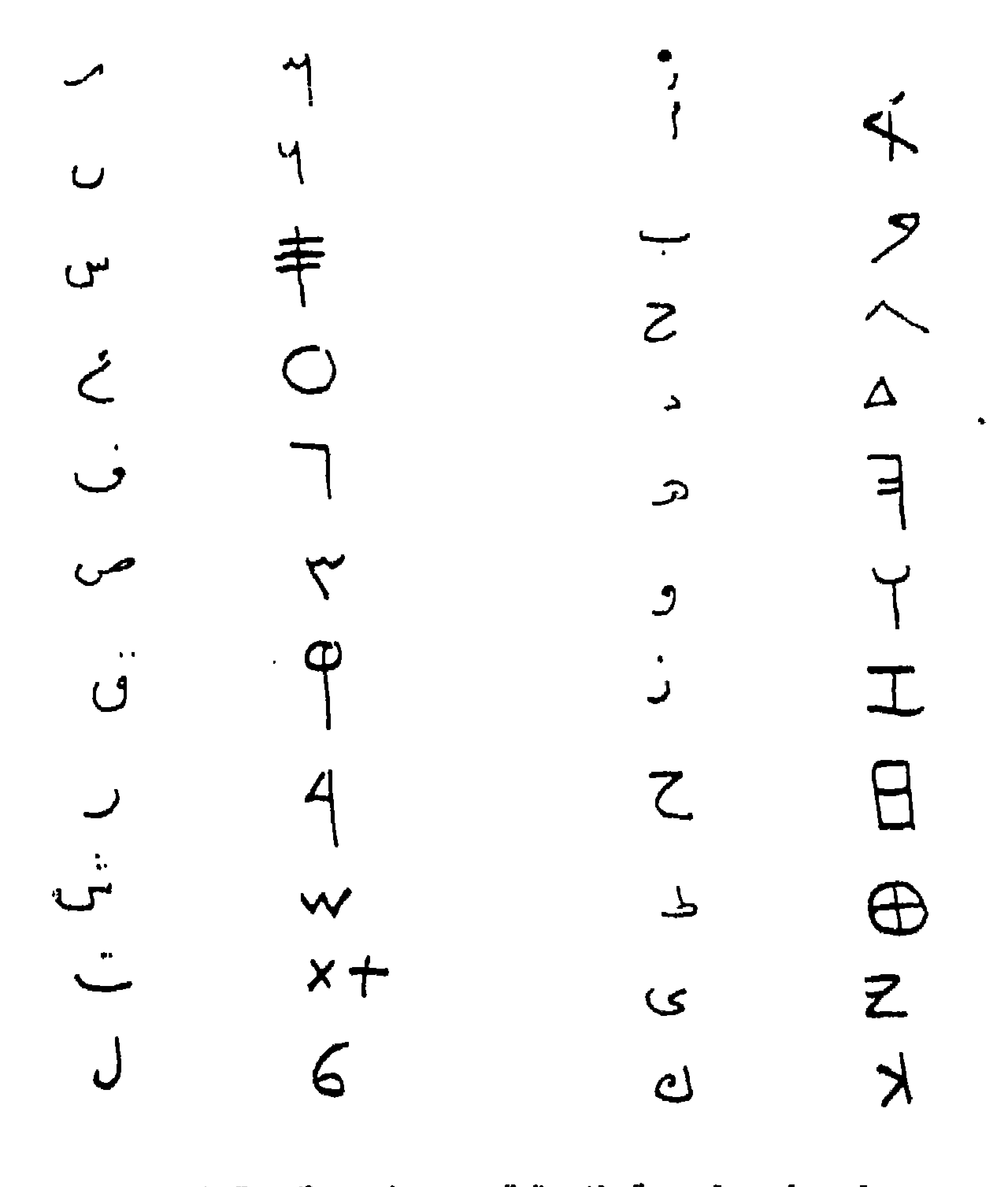
ف

ل

م

ن





الحروف الأبجدية الفينيقية وهى تشبه الكتابة البربرية

أبناء نوح

فى كتاب العبر لابن خلدون يروى لنا ابن خلدون عن شجره عائلة نوح وأولاده قائلا : ان نوح أنجب ثلاثة أبناء هم سـام وحام ويافث .

أما فرع يافث فهو الذى جاء منه سكان شمال أفريقيا الذين استوطنوا هذا المكان من العالم قبل البربر وهم أجناس ما قبل التـاريخ الذين يطلق عليهم الكروماجنون . ويقـول عنهم ابن خلدون انهم كانوا يعبـدون الشمس والقمـر والكبش والقرد والثـور وكانوا يدفنون الميت فى وضـع جنينى لاعتقادهم بأنه سوف يبعث كميلاد الجنين من بطن الأرض .

أما فرع نوح الثانى « حام » فهو قد أعطانا ثلاثة أبناء هم مصاريم وفلسطين وكنعان ..

مصاريم أنجب الفراعنة ..

وفلسطين أنجب الفلسطينيين القدماء .

وكنعان أنجب البربر .

وكلمة بربر جاءت من الجد الأكبر بربر بن تملا بن مازيغ ابن كنعان بن نوح .

وجاء البربر فى هجرة من الشام الى شـــمال أفريقيا ثلاثة آلاف سنة قبل المسيح أى قبل التاريخ .

وكان الرحل منهم يسكنون الخيام من الشعر والوبر وبعض الذين استقروا على الزراعة فى الوديان كانوا ينحتون بيوتهم فى الجبال وينقرون فى الجبل غرفات كاملة بمرافقها وما زالت بعض هذه البيوت المنجوتة باقية فى جبل نفوسة وفى جنـوب تونس وجبال الأوراس .

وكان دين البربر القديم هو آمون ومظاهره الشمس والقمر والكبش ذو القرنين وكانوا يقدسون النعامة والطاووس والقط والضفدعة والسلحفاة .. وكانوا يعتقدون أن قتل هذه الحيوانات يصيبهم بالشلل والجنون والعاهات .

وما زالت عقيدة تحريم صيد الحمام باقية الى الآن فى أنحاء كثيرة من المغرب .

واعتقد البربر فى الجن والأرواح التى تسكن الينابيع الحارة.

وكانت الأم عندهم مقدسة وكانت تحكم على القبيلة وتسوس الرجال .

وكان الابن قديما ينسب لأمه لا لأبيه .

واستخدموا لغة منطوقة ومكتوبة هى اللغة البربرية .. واللغة المكتوبة سموها « تيفيناغ » وهو نفس الاسم المستخدم فى اللغة التارجية .

وترجمة كلمة تيفيناغ .. الحروف المنزلة من عند الله .

وأكثر الكلمات البربرية تجدها فى اللغة التارجية بنصها .

وحينما دخلت اللغة العربية مع الاسلام شرع البربر فى بربرة الكلمات العربية باضافة التاء اليها :

الدار	تدارت
الحانوت	تاحنوت
الغابة	الغابت
الجنة	الجنت

وهناك أمثلة شعبية بربرية تشبه فى المعنى أمثلتنا العربية :

انفسى تشورداست ـــ يلاقى العضم فى الكرشة

ويد هكلن يطاود ـــ من صبر ظفر

اغرم وليتو ابنى ديواس ـــ الدنيا لم تبن فى يوم

طيطس أنا وساعت ـــ أبو عين فارغة .. أبو عيون جريئة

تالويت سوزاف الابلاسيقنطارن ـــ الشفاء بالدرهم والمرض بالقنطار .

وقد أقام البربر دولة بربرية كبرى كانت تشمل ليبيا والمغرب وموريتانيا . وحفظ لنا التاريخ أسماء ملوك عظام أمثال صفاقس ومصنيا ويوغورطة ويوبا .

وقد غزا الرومان الدولة البربرية وأسروا ملوكها وساقوهم مكبلين بالحديد فى شوارع روما وجندوا ألوف البربر فى جيوشهم بالسخرة .

ويروى لنا التاريخ المعارك بين يوليوس قيصر ويوبا .

وتمزقت الدولة البربرية .. ولكن ظلت المقاومة تندلع من برابرة الجبل والثورات تتوالى ضد حكم روما .

ويروى لنا التاريخ أن أحد الأباطرة الرومان سبتموس

سافاروس كان من أصل بربرى وانه أنصف البربر وسن القوانين بمساواتهم بالرومان فى عهده .

ومازال تمثال سبتموس سافاروس قائما فى أحـــد ميادين طرابلس الى الآن .

وقد تعانقت الديانات البربرية القديمة مع الديانات الرومانية، فكلها كانت ديانات وثنية .

وحينما جاءت المسيحية كان البربر أسرع من الرومان اعتناقا لها ، فقد وجدوا فيها خلاصا وأملا .

وفى عهد الامبراطور صـــوكليسيان أحرق وقتل آلافا من شهداء البربر المسيحيين .

وحينما دخلت روما المسيحية .. آنشـــأ اثنان من القسس البرابرة مذهبا مسيحيا خاصا اسمه الدونتسية .. واعتنق الكثير من البربر اليهودية نكاية فى الرومان ..

ويروى لنا التاريخ سقوط الحكم الرومانى على يد قبـــائل الوندال (قبائل جرمانية غازية مثل التتار) .

وبعد موجة غزو الوندال تأتى موجة الغزو البيزنطى .

وفى سنة ٦٤٨ وفى حكم عثمان بن عفان يدخل القائد المسلم عبد الله بن سعد على رأس جيش من عشرين آلفا ليحارب مائة

قاموس بربرى عربى

الكلمة العربية	الكلمة البربرية
الحب	غاس
الكراهية	اكراه
الفرح	اسلان
الوردة	تورديت
الشجرة	تشجريت
الطفل	نعنوش
المراة	تمطوط
الرجل	آرجاز
الفتاة	تعذبت
السحاب	ابيلم
الماء	آمن
النار	تفاوت
اللبن	آغى
العنب	زورين
التين	ايمطكن
الزيتون	آزمور
الخبز	غرون
القمح	يردن
الشعير	طمزين
الذرة	الل
البرسيم	الصفصاء
حصان	اجمار
جمل	الغم
ذئب	آوشن
الأسد	وار

وعشرين ألفا من البربر بقيادة جرجير البربرى وينتصر عليه ويقتله ويدخل الاسلام لأول مرة الى البربر .

ولا يبقى أثر لهذا الطوفان من الغـزو الرومانى والوندالى والبيزنطى .. لا نجد أثرا من وثنية أو مسيحية أو لغة رومانية أو جرمانية أو بيزنطية برغم سنوات من حكم السـيوف .. ويفتح البرابرة أذرعهم للغزاة الجدد لغة ودينا ليصبح الاسلام هو الدين الوحيد والعربية هى لغة الشمال الافريقى كله .

ونسمع الآن فى جبل نفوسه ، فى مولد النبى ، البربر ينشدون المدائح النبوية المؤثرة بلغتهم البربرية :

باتا يمرفد تلقيس .. اس مكة استوفغنت ايشركن

عنجال الدين انربيس .. بيوض الدباغ سيضغا عن

ومعناها :

ما أشد ما لقى النبى من عذاب

من مكة وطنه أخرجه المشركون

ومن أجل دين ربه

رجموه بالأحجار حتى نزف دما

كلمة الله في الصحراء

كلمة الله في الصحراء
كلمة الله في الصحراء
كلمة الله في الصحراء

الصحراء كانت دائما مخبأ عظيما للحرية والحركات التحررية وأوكارا للثــوار والمفكرين ، احتضـــنوا فيها أفكارهم حضانة طويلة قبل أن تفرخ زوابع غيرت وجه الأمة العربية .

وكانت جميع هذه الحركات التحررية دينية .

السنوسية فى الشمال الافريقى والمهدية فى السودان .

فى برقة وواحة الجغبوب والكفرة وغدامس كان ابن السنوسى يتنقل لينشر دعوته بين البدو والبربر والطوارق وقبائل التبــو وأولاد سليمان والمجـــابرة .. وأكثر من هذا كان الســنوسية

يشترون العبيد والأرقاء صغارا من السودان ويربونهم فى جغبوب وغدامس حتى اذا بلغوا أشدهم وأكملوا تحصيل العلوم الدينية أعتقوهم وسرحوهم الى أطراف السودان لنشر الدعوة بين أبناء جنسهم .

وبواسطة السنوسية صارت نواحى بحيرة تشاد مركزا اسلاميا هاما فى وسط أفريقيا .

ويقدر المؤرخ دوفريبه أتباع السنوسية فى عام ١٨٧٣ بحوالى ثلاثة ملايين .

ويقول هاملتون ان السنوسى أسس أكبر أخوة دينية فى أفريقيا امتدت فروعها من مراكش الى الحجاز .

فما هى الدعوة السنوسية ؟

كان ابن السنوسى يرفع شعارا واحدا هو أعلاء كلمة الحق .

تنبه الغافل وتعلم الجاهل وترشد الضال .

وكانت وسائله هى التقرب الى الله بالعلم والقرآن والعمل الصالح والكفاح واتباع الزهد وقراءة التسابيع والذكر حتى يصل بالمريد الى درجة النورانية والوجد .

ولكنه لم يكن صوفيا منقطعا ، وانما كان مبشرا له رؤية اجتماعية .. وفى ذهنه نظام مثالى عاش يخطط من أجله ..

كان يحلم باعادة بناء العالم الاسلامى على صورة جديدة .

ومن أجل هذا الحلم أنشأ نظام الزوايا .

وفى أواخر عصره كانت هناك ١٢١ زاوية منها سبع عشرة فى مصر وواحدة فى استامبول واثنتان فى الحجاز وست وستون فى طرابلس وبرقة وعشر فى تونس وخمس فى المغرب واثنتا عشرة فى تونس وخمس فى المغرب واثنتا عشرة فى السودان الافريقى .

كل زاوية مبنية على مكان مرتفع حصين لتكون كالقلعة .

وبكل زاوية مسـجد ومدرسة ومكتبة وحـدائق وأراض موقوفة .

والزاوية ملكية عامة للنظام نفسـه هى والأراضى الموقوفة عليها .. وفائض غلات الأراضى اذا كان هناك فائض يرسل للمركز ليرسلها بدوره الى الزوايا التى يديرها .

وكل فرد من أفراد القبائل يتبرع بحراث يوم وحصاد يوم ودراس يوم فى أرض الزاوية ، وذلك لتسهيل العمران دون نفقة.

وكانت الزاوية بمثابة استراحة للقوافل ومركز تجارى ومركز اجتماعى ومحكمة ومصرف وبيت الضيافة وملجأ للفقراء ومدرسة للقرآن وحرم آمن ومدافن وساحة للتدريب اليومى على الرماية واطلاق النار .

وتجرى المسابقات وتعطى الجوائز لأمهر الرماة .

وكان حفر الآبار وبناء الصهاريج واستصلاح الأرض البور واجب كل زاوية فى المكان الذى تقام فيه .

وكان يوم الخميس من كل أسبوع مخصصا عندهم للشغل بالأيدى ، فيتركون الدروس فى ذلك اليوم ويشتغلون بالنجارة والحدادة وغزل الصوف وفلح الأرض ، لا تجد منهم الامن يكد ويكدح وعلى رأسهم الشيخ السنوسى نفسه .

ولكل زاوية رئيس هو شيخ الزاوية ، ومجلس يضم وكيل الزاوية وشيوخ القبائل وأعيان المنطقة .

ومن شيوخ الزوايا جميعهم يتألف مجلس أعلى يترأسه السنوسى .

وهو نوع من التنظيم الهرمى فى أسفله قاعدة من الأتباع والمريدين ، يليهم الى أعلى شيوخ القبائل ثم شيوخ الزوايا ثم الشيخ السنوسى .

ويجتمع المجلس الأعلى للنظر فى سير الحركة مرة كل سنة .

واتخذ النظام من برقة مركزا للدعوة .

ومن برقة اتسع نفوذ السنوسية ودخلت صحراء جزيرة العرب حيث اعتنقها عدد من القبائل كبنى الحارث وبنى حرب كما

انتشرت بواسطة الحجاج فى اليمن .. وبنيت الزوايا فى المدينة والطائف والحمراء وينبع وجدة .

كانت السنوسية دولة داخل دولة .

وكان السنوسى يحلم باعادة بناء العالم الاسلامى وتوحيده بتكاثر هذه الخلايا حتى تبتلع الأمة العربية فى داخل هذا الشكل التنظيمى الجديد من الاشتراكية الاسلامية .

ولكن الاستعمار الايطالى الزاحف من الشمال والاستعمار الفرنسى الزاحف من الجنوب لم يمهل هذه الحركة حتى تؤتى ثمرتها .. وما لبث أن أطبق عليها بكلابة الحديد والنار .

وفى لحظة وجدت السنوسية نفسها فى موقف الدفاع .

وانطلق الرصاص من عشرات الزوايا فى أعماق الصحراء .

يقول دوفرييه ان السنوسية هى المسئولة عن جميع أعمال المقاومة التى قامت ضد فرنسا فى الجزائر وانها السبب فى الثورات المختلفة التى قامت ضد فرنسا كثورة محمد بن عبد الله فى تلمسان وعصيان محمد بن تكول فى الظهرا .

وفى سنة ١٨٩٥ كان علم المقاومة للاستعمار الفرنسى فى الجنوب ، فى يد السنوسية وحدهم .

وكان محمد البرانى يجمع الجيوش من الطوارق والبدو والبربر لمقاومة الزحف الفرنسى .

وكانت الأموال والأسلحة تتدفق من التلاميذ والمريدين .

وفى خطاب مرسل من أحد تلاميذ السنوسى الى مدير غدامس التركى يكتب التلميذ :

« وقد وقع القتال بيننا بالبارود والسيوف حتى كسرناهم كسرة عظيمة وقتلنا منهم نحو ثلاثمائة وستة وثمانين رجلا وغنمنا من الخيل كثيرا والبنادق بلا عدد والخزنة والابل والأخبية والحمد لله على ذلك وبركة شيخنا معنا » .

وكانت من تقاليد الطريقة السنوسية مناولة السبحة والسيف للمريد حينما يتم دراسته ، ويكون ذلك بأن يلبسه الشيخ الجرة أو الخرقة ، وبعد أيام يناوله السبحة ويلبسه السيف ويأمره بالصلاة بهذا الزى .

وفيما أورده المؤرخ أحمد زاده :

« انه من الواجب على كل فرد من السنوسية ما دام قادرا وغير عاجز أن يكون مستعدا للطوارىء متهيئا للحرب منتظرا للأمر منفذا له بكمال طاعته » .

ومما يروى أن رشيد باشا التركى أرسل جواسيسه الى

احدى الزوايا ، وسأل الجاسوس أحـد الاخوان ، وهو محمـد البكرى : عما اذا كان بالزاوية أسلحة ، فأجاب البكرى نعم لدينا مخازن من الأسلحة ، ثم قاده الى أحد مخازن الكتب وفتحها له .

وقد استمرت مقاومة السنوسية للفرنسيين عشر سنوات .

وفى سنة ١٩٠٢ سقطت زاوية بير العـلانى فى أيدى الجيش الفرنسى الذى هدمها وبنى مكانها قلعة حصينة .

وفى سـنة ١٩١١ تحولت السنوسية الى الشـمال لمقاومة الاستعمار الايطالى ، واستطاعت ان تقاوم الايطاليين عشرين سنة.

ولكن الصلب والبارود والصـناعة الغربية والعلم الغربى استطاع أن يهزم بدو الصحراء .

وفى كل صـدام بين الشرق والغرب كانت الصناعة الغربية تحسم المعركة .

حديث الرجل الصالح

هو رجل مغربى منقطع للعبادة فى جبل .

لم يشأ أن يذكر اسمه ولا مكانه ..

هو عبد الله فى أرض الله .

يلبس بردا من الصوف ويجلس على الأرض بغير فراش ويتوسد الحجر ... وما رأيت معه الا بعض كتب مخطوطة .. وما رأيته ضاحكا .. وما رأيته رافعا بصره فى طريق .

يكسب حياته من غزل الصوف .

ولا يأكل الا بضع تمرات فاذا ارتحل فأعشاب الطريق زاده .. وهو مورد الوجه يفيض صحة واشراقا .

قلت له : كيف تجد الكفاية فى هذه الأعشاب ؟ ..

قال لى : كف يدك عن الأذى ، وطهر لسانك عن الغيبة ، وافتح قلبك للحب يجعل لك الله فى كل عود أخضر من هذه العيدان غذاء كاملا .

سألته ان يعظنى ..

فنظر الى فى حياء وغمغم :

قال الله للمسيح : « ياعيسى عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس والا فاستح منى » . وأنا لم اتعظ بعد لأعظك .

فقلت له : اذن تمنحنى بعض كلمات تكون زادى على الطريق

فقال وهو يرسل نظراته الى الأفق البعيد :

اصرف كل اهتمامك الى العلم ، فان الله لا يعبد الا بالعلم .

لا تشتغل بطلب الدنيا ، فمن يشتغل بطلب الدنيا يبتلى فيها بالذل .

اذا خفت الله خاف منك كل شيء .

احذر صحبة النساء اتقاء على ايمان قلبك .

الاستئناس بالناس من علامة الافلاس وفراغ العقل وهـذا شأن من تراهم على المقـاهى .. فلا شيء يؤتنس به الا الحضرة الالهية والخلوة مع الرحمن .

من لازم الناس أصبح محصورا فى محيطاتهم وفى هيـكل ذاته.

من دعا لظالم بطول العمر أو البقاء فقد دعا الى معصية .

نقاء السريرة وصفاء القلوب وسـلامة النيات ومحبة الخلق والخالق هى رأس العبادة والسعى وراء الشهرة فسادها .

أكثر من صحبة الصالحين فان فيهم الشفعاء .

قلت له :

— ومن هم الصالحون ؟

قال :

— لباسهم ما ستر وطعامهم ما حضر .. أبرار اخفياء ، أتقياء اذا غابوا لم يفتقدوا واذا حضروا لم يعرفوا .. تحابوا فى روح الله على غير أموال ولا أنساب .: يتعارفون فى الله ويحبون فى الله ويكرهون فى الله . يقول الله عنهم يوم القيامة : أين المتحابون بجلالى .. اليوم أظلهم فى ظلى يوم لا ظل الا ظلى .

قلت له : هل لهم وجود فى هذه الأيام ؟

قال :

ـــ خلت الديار ، وباد القوم ، وارتحل أرباب السهر ، وبقى أهل النوم ، واستبدل الزمان بآكلى الشهوات أهل الصوم .. لم يبق الا أقزام مهازيل حثالة كحثالة الشعير أمثالنا لا يبالى الله بهم.

قلت له : ما رأيك فى أهل هذا الزمان ؟

قال فى حسرة :

ـــ اعترفوا بالله وتركوا أمره ، وقرءوا القرآن ولم يعملوا به وقالوا نحب الرسول ولم يتبعوا سنته ، وقالوا نحب الجنة وتركوا طريقها ، وقالوا نكره النار وتسابقوا اليها ، وقالوا ابليس لنا عدو وأطاعوه ، ودفنوا أمواتهم ولم يعتبروا بهم ، واشتغلوا بعيوب أخوانهم ونسوا عيوبهم ، وجمعوا المال ونسوا الحساب ، وبنوا القصور ونسوا القبور .

لقد كنا فى زماننا نحلم بالحج الى مكة والقدس والموت بهما.

وأنتم جاءتكم فرصة الشهادة الى بابكم بالقدس فماذا فعلتم؟

ولم أجد كلمة أجيبه بها .

أما هو فراح يبكى ويغمغم بين دموعه .

والله لولا عباد ركع وصبية رضع وبهائم رتع لصب عليكم العذاب صبا .

وحينما تركته كان قد بدأ ينشد :

وشمس على المعنى مطالع أفقها

فمغربهـا فينا ومشرقهـا منا

وحينما كانت نغمات أنشاده تذوب فى الهواء كانت ذاكرتى تعود بى الى لقائى بالمتصوف الهندى براهما وأجيسوارا الذى رويت حديثه فى كتابى الخروج من التابوت .. ولا أدرى لماذا أحسست أنى أمام نفس الرجل ..

كان كلاهما يقول كلاما واحدا ، ويتكلم نفس اللغة وكأنما يجلسان على مائدة واحدة ويقرآن من نفس الكتاب .

وتذكرت حديثى مع المتصوف المغربى عبد العزيز بن عبد الله وكيف كان يقول لى ان التصوف الهندى هو الذى أخذ منا ولم نأخذ منه وان تجار بابل وفارس وعلماءها كانوا ينقلون دياناتنا الشرقية الى الهند من أيام ابراهيم الخليل بدليل دخول الكلمات العربية فى الكلمات السنسكريتية :

سوترا .. الصورة

جو . .هو

منتا .. من انت

بوداتا .. ذات بودا

احسين .. احسان

اسرافا .. اسراف

ماهايانا .. معاينة

كارما .. كرمة

نيرافانا .. نور الفنا .

لقد كنا نعطى دائما .

ولقد أخذ منا الكل .

واحتوت دياناتنا على الحق كله .

والتصوف الاسلامى احتوى بين دفتيه على كل الطرائق بما فيها البوذية واليوجا .

كنت أسير مستغرقا فى التفكير

وكان انشاد الفقير المغربى مازال يرن فى أذنى :

وشمس على المعنى مطالع أفقها

فمغربها فينــــا ومشرقها منا

نعم .. ان الشمس تغرب فينا الآن ..

فمتى يكون مشرقها منا ؟ ..

متى تعود الشمس لتشرق منا ؟

متى ينتهى الغروب والليل وينبثق منا الفجر من جديد ؟

متى .. ؟

وكنت أرتجف كلما تذكرت أنه بعد الغروب يأتى دائما الليل الأسود .

وأخشى أن يكون نصيب جيلنا من الزمان هو الليل الأسود.

وأخشى أن يطول الانتظار .

وأشعر أنى أبكى كما يبكى المغربى العجوز المجهول الاسم والمكان .. عبد الله فى أرض الله .

فهرس

